الــــزنــــــــاد
فــي شــــــرح
لــمــعــة
الاعــتــقــاد

للإمام

موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة

رحمه الله

(541ـ 620)

شرح

فضيلة الشيخ

علي بن خضير الخضير

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فقد يسر الله شرح كتاب لمعة الاعتقاد للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة رحمه الله (541ــ 620) .

وأردت من هذا المساعدة حسب القدرة والاستطاعة في شرح اللمعة ، وذكر بعض القضايا المعاصرة ، والربط بذلك ، وسميته الزناد من باب أنه مساعد ومعين على الفهم والتقريب , ومن معاني الزند المساعدة والإعانة ، قال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب 3/196 (تقول لمن أنجدك وأعانك : ورت بك زنادي) .

نسأل الله التوفيق والإعانة .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه : علي بن خضير الخضير

القصيم ــ بريدة

نبذة عن مؤلف لمعة الاعتقاد

هو عبد اللَّه بن أحمد من ذرية عمر بن الخطاب ، وهو قرشي عدوي ، ولد قبيل منتصف القرن السادس تقريباً عام 541هـ ، وتوفي عام 620هـ ، وولد في فلسطين وعاش في دمشق في الشام .

عصر المصنف :

فقد كان عصره وهو عصر النصف الثاني من القرن السادس يمتاز بثلاث ميزات :

1 - ظهور عقائد الأشاعرة في عصره وانتشارها بين الناس ، بل إن الدولة كان منهجها الرسمي في العقائد هي الأشعرية وهي دولة الأيوبيين خصوصاً صلاح الدين الأيوبي رحمه الله مع أنها كانت دولة مجاهدة .

2 - تسلط الصليبيون واستيلائهم على فلسطين وقد استولى الصليبيون على فلسطين وكان عمر المصنف رحمه الله 8 سنوات ، مما سبب هجرة أفراد عائلته إلى دمشق .

3 - وجود الرافضة قبحهم الله في عصر المصنف وكانت لهم دولتهم في ذلك الوقت وهي دولة الرافضة العبيديين الملاحدة لعنهم الله في مصر الذين قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وجزاه خيرا .

وقد شارك المصنف في عصره وقام بالجهاد العلمي والتعليمي العقدي ، حيث ألّف كتباً لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على عقائد الأشاعرة التي تفشت في عصره .

مؤلفاته :

منها كتابه لمعة الاعتقاد في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات والقدر واليوم الآخر وما يتعلق فيه وما يجب تجاه الصحابة والموقف من أهل البدع.

وألف رسالة في مسألة العلو في جزأين . ومسألة العلو تعتبر من أخطر المسائل المثارة في عصر المصنف ، حيث أن الأشاعرة لا يثبتون العلو لله تعالى.

وألّف رسالة في تحريم النظر في كتب أهل الأهواء ، ورسالة في ذم التأويل ، وكتاب آخر في القدر .
والملاحظ على هذه الكتب أنها ضد الأشاعرة وتعنيهم بالدرجة الأولى كما أنها تعني أيضا المعتزلة والخوارج والجهمية .
وقد أشار إلى هذه المؤلفات ابن العماد في كتابه شذرات الذهب ، المجلد الخامس ص 88.
وهذه عادة العلماء الربانيين التصدي للعقائد المنحرفة الموجودة في عصرهم وتأليف الكتب والرسائل فيها .
كما أن المصنف أيضاً شارك في الجهاد المسلح لإعلاء كلمة اللَّه وهو ما يسمى اليوم زورا بالتطرف والأصولية ، حيث خاض الجهاد ضد الصليبيين في طردهم من فلسطين وكان عضو فعّالاً في جيش صلاح الدين الذي قابل الصليبيين حتى أخرجهم من القدس . كما قاتل العبيديين حتى قضى عليهم .

كما أن له مؤلفات في الجانب العلمي الفقهي :
منها المغني ، والكافي ، والعمدة . كما ألف في الأصول : روضة الناظر .
المسألة الثانية سبب تأليف الكتاب:
كما أشرنا سابقاً أن عصر المؤلف هو آخر القرن السادس انتشرت فيه عقائد الأشاعرة فألف هذا الكتاب للرد عليهم .
المسألة الثالثة : مقدمة المصنف :
جعل المصنف لكتابه مقدمة اشتملت على ثلاثة مواضيع نذكرها على وجه الاختصار
1 - افتتاحية المقدمة .
2 - بين طريقة السلف في أحاديث وآيات الصفات .
3 - التحذير من مخالفة طريقة السلف بما يسمى بالابتداع في الأسماء والصفات والعقائد .
وسوف نفصل ما حوت المقدمة كالتالي :
قال المصنف :
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الأشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع العباد ، لا تمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ، { ليس كمثله شيء وهو

السميع البصير } [1] **، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى { الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى}**[2] **أحاط بكل شيء علماً ، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً ، ووسع كل شيء رحمة وعلماً { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً }** [3] **).**

الـشـــــــرح :

افتتح المصنف رحمه الله المقدمة بالبسملة والحمد والثناء على اللّه بذكر بعض أسمائه وصفاته. فبدأ بالبسملة والبداءة بها سنة اقتداء بفاتحة الكتاب حيث بدأ اللّه الفاتحة ببسم اللّه الرحمن الرحيم ، واقتداء أيضاً بكتاب نبي اللّه سليمان عليه الصلاة والسلام : **{وإنه بسم اللّه الرحمن الرحيم }** [4] .

الدليل الثالث ما ثبت في الصحيح من حديث أبي سفيان [5] حيث كتب الرسول [illegible]

[illegible]

() [1] سـورة الشورى : 11

() [2] سـورة طه : 5-7 .

() [3] سـورة طه : 110 .

() [4] سـورة النمل : 30 .

() [5] أخرجه البخاري في صحيحه 1/7 (ح 7) ، ومسلم في صحيحه 3/1393 (ح 1773) .

() [6] ذكره مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (1973) .

(7) سـورة آل عمران : 7 .

(8) سـورة آل عمران : 7 .

(9) آل عمران : 7 .

[illegible]

(10) يوسف : 100 .

(11) الأعراف : 53 .

(12) يونس : 39 .

(13) ذكره في أضواء البيان في تفسير سورة آل عمران ص 211.

[14] رواه مسلم في صحيحه 1/522 (ح 658) ، والنسائي في سننه 6/125 ، (ح 10318) ، والدرامي في سننه 1/413 (ح 1480) .

[15] رواه البخاري في صحيحه 1/203 ، (ح 529) ، ومسلم في صحيحه 1/439 (ح 633) .

[16] سـورة الشورى : 11 .

[illegible]

(17) أخرجه أحمد في مسنده 4/120 (ح 17125) ، وأبو داود في سننه 4/200 (ح 4607) .

(18) سـورة الرحمن : 27 .

(19) الرحمن : 27 .

(20) الليل : 20 .

(21) البقرة : 115 .

(22) 1/290 .

(23) البقرة : 115 .

[24] أخرجه مسلم في صحيحه 1/161 (ح 179) .

[25] غريب الحديث 3/173 .

[26] رواه مسلم في صحيحه 1/161 (178) ، وأبو داود في سننه 1/64 (ح 474) .

[27] سبق تخريجه .

[28] 3/100 .

[29] سورة :

[30] سبق تخريجه .

[illegible]

(31) أخرجه البخاري في صحيحه 2/902 (2420) ، ومسلم في صحيحه 4/2016 (2612).

(32) 3/1147 .

(33) القصص : 88 .

وقوله سبحانه وتعالى { بل يداه مبسوطتان }

الـشـــرح

المسألة الأولى :

المصنف رحمه اللّه ذكر الصفة الثانية من صفاته سبحانه وتعالى ، وهي صفة اليدين ، واستدل عليها بآية واحدةٍ ، وهي قوله تعالى : **{بل يداه مبسوطتان}**(34) واختيار المصنف آية في ذكر التثنية أقوى رداً على المعطلة في إثبات اليدين لله كما سوف نوضح ذلك إن شاء اللّه

المسألة الثانية :

وصف اليدين ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة والإجماع بأن له يدين اثنتين.

المسألة الثالثة :

من صفات اليدين ، ذكر ابن القيم في مختصر الصواعق (35) الوجوه التي وردت في صفات اليدين فقال : فلفظ اليد ورد في الكتاب والسنة ، وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والقبض والطي ، والبسط والمصافحة والحثيات ، والنضح باليد إلى أن قال والمسح وأنه مسح ظهر آدم بيده وذكر الرفع والخفض وذكر الهز ، انتهى بتصرف .

---

(34) المائدة : 64 .

(35) 2/171 .

فيدل ما سبق على أن هذه الاشياء من أعمال اليد فإن اللَّه يمسك بها، ويقبض ... إلخ .

مذاهب الناس في صفة اليدين لله تعالى :

1 - مذهب أهل السنة والجماعة إثبات اليدين لله .

2 - مذهب ابن حزم حيث أثبت أن لله أيدي كثيرة ، فقال في كتابه الدرة فيما يجب اعتقاده [36] قال : إن لله يداً ويدين وأيدي .

3 - مذهب أبو العباس القلانسي الرازي الكلاّبي وهو معاصر لأبي الحسن الأشعري، قال : إن اليد صفة واحدة لا صفتان .

4 - مذهب المشبهة وهم الذين يثبتون لله أيدي كأيدي الناس ، أمثال هشام بن الحكم الرافضي ، وهشام بن سالم الجواليقي ، وداود الجواربي .

وكل هؤلاء يسمون الهشامية ، وهم روافض ومذهبهم إثبات أن لله جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية ، تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً .

وقال هشام بن سالم : إن اللَّه على صورة الإنسان وأن له يد ورجل وأذن وأنف وذكر أشياء ، وهذا المذهب ذكره أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين [37] .

5 - مذهب المجسمة ، وهم المقاتلية أصحاب مقاتل بن سليمان فمذهبهم أن اللّه جسم وجثة على صورة الإنسان ، له جوارح وأعضاء وهو مع هذا لا يشبه غيره، ذكر ذلك عنهم الأشعري في مقالات الإسلاميين [38] ، والفرق بين المشبهة والمجسمة فرق واحد وهو أن المجسمة يثبتون أن لله جسما وينفون عنه أنه يشبه غيره ، والمشبهة يثبتون أن اللّه له جسم ويشبهونه بغيره .

6 - مذهب المعطلة من الجهمية والمعتزلة والماتريدية والأشاعرة المحضة أي متأخري الأشاعرة ، فإنهم ينفون اتصاف اللّه بصفة اليد ويؤولونها بأحد عشر تفسيراً : القدرة ، القوة ، الملك ، النعمة ، السلطان ، العطاء ، الرزق ، الخزائن، البركة ، الكرامة ، العناية .

7 - مذهب الكلاّبية ، ومتقدمي الأشاعرة ، فهؤلاء مثل أهل السنة ، فيثبتون صفة اليدين لله عز وجل ولا يؤولونها .

مسألة :

إن للّه سبحانه وتعالى يدان توصف إحداهما باليمنى واختلفوا في مسمى الثانية على أقوال وهذا الخلاف داخل في مذهب أهل السنة والجماعة :

---

[36] الدرة لابن حزم ص 248.

[37] مقالات الإسلاميين 1/290 .

[38] مقالات الإسلاميين 1/282 .

القول الأول :

أن الثانية تسمى اليمنى أيضاً ، فكلتا يديه يمين ، واستدلوا بالحديث الصحيح " كلتا يديه يمين " [39] وهو قول الإمام أحمد ، راجع طبقات الحنابلة لأبي يعلى [40] ، فإنه قال كما صح الخبر عن رسول اللّه [illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible] [41] [illegible]

[illegible] [42] .

[illegible] :

[illegible] [43] .

[illegible]

---

[39] رواه مسلم في صحيحه 3/1458 (ح 1827) ، وأحمد في مسنده 2/160 (ح 6492) ، والنسائي (المجتبى) 8/221 (ح 5379).

[40] 1/313 .

[41] رواه مسلم في صحيحه 4/2148 (ح 2788) .

[42] رواه أحمد وعبد اللّه بن أحمد في السنة 1059 ، والبزار برقم (2) ، 6/441 .

[43] ص 324.

[44] () رواه البخاري في صحيحه 4/1812 (ح 4533) ، ومسلم في صحيحه 4/2147 (ح 2786) .

(45) البخاري 2/511 (ح 1344) ، ومسلم 2/702 (1014) .

(46)

(47) راجع كتاب صفات اللّه ، تأليف : علوي السقاف .

[illegible]

[illegible] : وقوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام أنه قال { تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك }

الـشــرح

ذكر المصنف آية واحدة للتدليل على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى ، وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة النفس لله تعالى ، أما الأدلة على ذلك ، ما ذكر المصنف ، قوله تعالى : { **ويحذركم اللّه**

---

(48) الذاريات : 47 .

(49) المستدرك على الصحيحين 1/627 (1681) ، صحيح ابن خزيمة 4/221 (2737) .

نفسه } [50] ، وقوله : { **كتب على نفسه الرحمة }** [51] **،** وحديث : " إني حرمت الظلم على نفسي " [52] رواه مسلم ، وحديث: " لئن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي " [53] متفق عليه .

إلا أن السلف رحمهم اللَّه اختلفوا في ما هو المراد من صفة النفس بعد ما أثبتوا النفس لله ، على قولين :

القول الأول :

أن النفس بمعنى الذات الإلهية بصفاتها ، وهو الذي اختاره ابن تيمية ، وقد قال في الفتاوى [54] : ونفسه هي ذاته المقدسة ، وقال في الفتاوى [55] : ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه ، ثم استدل بآية : **{ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}**[56] ، وقوله : { **كتب على نفسه الرحمة }** ، وآية : { **ويحذركم اللَّه نفسه}** وذكر حديث : " فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي " . وقال إن النفس في هذه المواضع بمعنى الذات المتصفة بصفاتها عند جمهور العلماء ، وليست الذات المنفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة الذات ، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات . كلا القولين خطأ . انتهى .

واختيار ابن تيمية رحمه اللَّه مرجوح خلاف الصحيح كما سوف يأتي إن شاء اللَّه تعالى .

القول الثاني :

إن النفس صفة من صفات اللَّه كغيرها من الصفات واختار هذا القول ابن خزيمة في كتاب التوحيد ، وابن قدامة في كتابه هذا - لمعة الاعتقاد - واختاره أيضاً عبد الغني المقدسي في عقيدته ، واختاره أيضاً أبو يعلى في كتابه إبطال التأويلات[57]، واستدلوا على ذلك أنها جاءت مضافة إلى اللَّه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كما في الآية التي ذكر المصنف { **ولا أعلم ما في نفسك }** ، وقوله : { **كتب ربكم على نفسه الرحمة }** [58] .

وهذا هو الصحيح في المسألة أن النفس صفة من صفات اللَّه .

---

(50) آل عمران : 28 .

(51) الأنعام : 12 .

(52) رواه مسلم في صحيحه 4/1994 (ح 2577) .

(53) رواه البخاري في صحيحه 6/2694) (ح 6970) ، مسلم صحيحه 4/2061 (ح 2675).

(54) 14/196 .

(55) 9/292 وما بعدها .

(56) المائدة : 116 .

(57) 2/442 .

(58) الأنعام : 54 .

مسألة : مذهب المعطلة في صفة النفس لله تعالى :
هم لا يثبتون لله تعالى صفة النفس ، كغيرها من الصفات ، وجميع المعطلة من الجهمية والمعتزلة والكلّابية والأشاعرة يفسرون النفس في الآيات السابقة بمعنى الذات، والفرق بين كلامهم وكلام ابن تيمية : أنهم يقولون أن النفس الذات المجردة. وابن تيمية يقول أن النفس بمعنى الذات المتصفة بالصفات .
مسألة : (وذكرناها من باب الاستطراد) :
صفة النَفَس : هل تثبت لله أم لا ؟
جاءت أحاديث منها حديث أبي هريرة مرفوعاً : " من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس اللَّه عنه كربة من كرب يوم القيامة " [59] رواه مسلم.
وحديث أبي بن كعب مرفوعاً : " في النهي عن سب الريح فإنها من نفس الرحمن"[60]. صححه الترمذي .
ومعنى النفس : أي التنفيس ، كما قال أبو يعلى في إبطال التأويلات[61] . وعليه فالتنفيس من أفعال اللَّه كالتفريج وهي من صفات اللَّه المتعلقة بالمشيئة .
ومنها قوله عليه السلام : " إني أجد نفس الرحمن من هاهنا - وأشار إلى اليمن-" [62]
وهذه الأحاديث : الملاحظ أن النفس مضاف إلى اللَّه ، فهل هو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق أم من باب إضافة الصفة إلى اللَّه ؟ أم يقال أنها مظافة إلى الله لكن السياق بين نوع الاظافة فهي مثل الحجر الأسود يمين الله ثم فسر ذلك .
ذكر صاحب كتاب صفات اللَّه تأليف علوي السقاف وهو سلفي المعتقد في باب الصفات ص 256 أنها من باب الصفات، وقال إنها من باب الصفات الفعلية لله وأن معنى النفس بمعنى التفريج، مثل جاء فرج اللَّه أي تفريج اللَّه .

---

[59] () رواه مسلم في صحيحه 4/2074 (ح 2699) ، وأبو داود في سننه 4/287 (ح 4946) ، والترمذي في سننه 4/34 (ح 1425) .
[60] () أخرجه النسائي في السنن الكبرى 6/231 (ح 10769) ، والترمذي في سننه 4/521 (ح 2252) .
[61] () 1/250 .
[62] () رواه الطبراني في الكبير 7/60 ، ورواه البزار في المسند ، راجع : كشف الأستار (1689) ، ورواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات 2/209، وحديث رواه في المسند 2/541 ، بلفظ: " وأجد نفس ربكم من قبل اليمن " .

وقد أثبت النفس بمعنى التنفيس كل من أبي يعلى (63) واختاره وذكر أنه اختيار شيخه أبي عبد الله ، والأزهري (64) ، واختار ابن قتيبة (65) أن النفس بمعنى التنفيس والفرج والتفريج .

الصفة الرابعة والخامسة : صـفـة الـمـجيء والإتـيـان لله تعالى

قال المصنف : وقوله سبحانه { وجاء ربك } وقوله تعالى { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله }

الـشــرح

وأهل السنة والجماعة يثبتون المجيء لله ، قال تعالى : { **وجاء ربك** } (66) ، ويثبتون الإتيان . قال تعالى : { **هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه** } (67) ، وهي من الصفات المتعلقة بمشيئة اللّه ، فمتى شاء جاء وأتى .

مسألة : مذهب المعطلة في هاتين الصفتين :

جميع المعطلة ينكرون هذه الصفة ويفسرون المجيء والإتيان بعدة تفسيرات :

1 - الإتيان : أي إتيان أمره تعالى ، فيقولون وجاء ربك قالوا فيه حذف والمعنى : جاء أمر ربك . وقوله : { **إلا أن يأتيهم اللّه** } أي أمر اللَّه ، قالوا بدليل قوله تعالى : { **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك** } (68) .

2 - أو يفسرون الإتيان والمجيء بإتيان ومجيء بعض المخلوقات ، فمعنى وجاء ربك ، أي : ملائكة ربك ، أو عذاب ربك، وكلامهم هذا كله باطل .

فالآيات صريحة في إثبات المجيء والإتيان لله تعالى .

مسألة : هل المجيء والإتيان صفة واحدة أم لا ؟

ظاهر صنيع المؤلف أنه جعلهما صفتين ؛ لأن من عادته جعل آية لكل صفة وهنا جعلهما في آيتين مستقلتين .

وذكر الهراس في شرحه على النونية أنهما صفتان ، وقال أيضاً في شرحه للواسطية أنهما صفتان ووافقه على ذلك علوي السقاف في كتابه صفات اللّه ص 38 أنهما صفتان ، وأيضاً العلامة عبد

---

(63) في إبطال التأويلات 1/250 .
(64) في تهذيب اللغة 13/9 .
(65) في كتابه تأويل مختلف الحديث ص 249 ، ط. المكتب الإسلامي .
(66) الفجر : 22 .
(67) البقرة : 210 .
(68) النحل : 33 .

العزيز الرشيد شارح الواسطية المسمى التنبيهات السنية ذكر أنهما صفتان ص 88 ، 89 ، قال : أفادت الآيات إثبات أفعاله الاختيارية فالإتيان والنزول والمجيء والاستواء كلها أنواع أفعاله .
وفي النفس شئ مما قالوا ويشكل على ذلك أن سياقها واحد وأسبابها واحدة ومتعلقها واحد .
والذي يظهر لي - واللّه أعلم - أنهما صفة واحدة وليست صفتين .
والدليل على ذلك :
1 - أن من فرّق بينهما يستدل بآية : { **هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّه في ظلل**}، وبالمجيء بآية : **{ وجاء ربك }** وسبب المجيء والإتيان واحد ، وهو من أجل الفصل بين الخلائق يوم القيامة فيكون جاء في الآية هي نفس معنى أتى لأنه جاء وأتى لشيء واحد وهو الفصل بين الخلائق حينما تشقق السماء بالغمام ، فسببهما واحد وزمانهما واحد .
2 - الدليل الثاني : ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً وهو حديث قدسي [69] : " إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع ، إلى أن قال : وإذا تلقاني بباع جئته " أتيته بأسرع . قال النووي : هكذا هو في أكثر النسخ والشاهد قوله (جئته أتيته) .
3 - المعنى اللغوي : فإن معنى أتى هي معنى جاء لغةً ، واللّه أعلم .
4 ـ قاعدة بعض السلف أنه إذا اختلف المتعلق كانت صفتين ، مثل صفة الرحمن والرحيم فإنهم جعلوهما صفتين لأن متعلقهما مختلف فتعددت لذلك ، ونحن نقول نفس الكلام تمشيا وقياسا على ذلك .

الصفة السادسة : صفة الرضى

قال المصنف : وقوله تعالى { رضي الله عنهم ورضوا عنه }

الــشــرح

واستدل المصنف بآية واحدة ، وهي قوله تعالى : **{ رضي اللّه عنهم ورضوا عنه }** [70] .
مسألة : مذهب أهل السنة والجماعة في هذه الصفة :
أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله تعالى ، فمتى شاء رضي .
مذهب المعطلة :

---

[69] رواه مسلم في صحيحه 4/2061 (ح 2675) .
[70] المائدة : 119 .

أما المعطلة بجميع أصنافهم فإنهم ينكرون صفة الرضى لله ويفسرونها بعدة تفسيرات ، إما بمعنى الثواب ، ومعنى رضي اللَّه عنهم أي أثابهم ، وأحياناً يفسرونها بمعنى الثناء ، رضي اللَّه عنهم أي أثنى عليهم ، وهذا كله إلحاد في صفات اللَّه .
ويرد عليهم : بأن الثواب والثناء من آثار الرضى ، ومن نتائج وثمرات الرضى، وليس هو الرضى نفسه ، ففرق بين الصفة وآثارها .

الصفة السابعة : صفة المحبة
قال المصنف : وقوله تعالى { يحبهم ويحبونه }

الـشــرح
استدل المصنف عليها بآية واحدة ، وهي قوله : { يحبهم ويحبونه } [71] .
مسألة :
السلف يثبتون صفة المحبة لله وهي من الصفات المتعلقة بالمشيئة فهو يحب من شاء وما شاء متى شاء .
مسألة : مذهب المعطلة في هذه الصفة :
المعطلة بجميع أصنافهم ينكرون هذه الصفة ؛ لأن إثباتها يقتضي التجسيم وحلول الحوادث لله تعالى ، ويفسرون المحبة بالإثابة والثواب أو بالنصر والتأييد ، وقاعدتهم أنهم يفسرون المحبة بآثارها وثمراتها .
والرد عليهم كما سبق في صفة الرضى .

الصفة الثامنة ، والتاسعة والعاشرة : صفة الغضب والسخط والكراهية
قال المصنف :
وقوله تعالى في الكفار { غضب الله عليهم } وقوله تعالى { اتبعوا ما أسخط الله }وقوله تعالى { كره الله انبعاثهم }

الـشــرح
وهذه ثلاث صفات أثبتها أهل السنة والجماعة .
أما دليل صفة الغضب : قوله تعالى : **{ غضب اللَّه عليهم }** [72] .

---

[71] المائدة : 54 .
[72] الممتحنة : 13 .

ودليل صفة السخط : قوله تعالى : { **واتبعوا ما أسخط اللَّه** } [73] .

وصفة الكراهية : قوله تعالى : { **كره اللَّه انبعاثهم** } [74] .

وهذه الثلاث صفات من الصفات المتعلقة بالمشيئة ، فمتى شاء غضب وسخط وكره .

مسألة : هل هي صفة واحدة أم هي ثلاث صفات ؟

هي ثلاث صفات ، وهو ظاهر صنيع السلف يجعلونها ثلاث صفات ؛ لأن متعلقها مختلف وآياتها مختلفة وأسبابها مختلفة ، فمثلاً: الكره جاء في سياق ذكر المنافقين ، والسخط في سياق عن الكافرين ، والغضب أحياناً يغضب على الكفار ، وفي بعض النصوص توعد بالغضب لعصاة الموحدين ، فلما اختلف متعلقاتها أصبحت صفات مثل الرحمن والرحيم ، فإنهما صفتان ؛ لأن متعلقهما مختلف ، فالرحمن عام لجميع الخلق ، والرحيم خاص بالمؤمنين . هذا على أحد قولي السلف في متعلق الصفتين .

مذهب المعطلة في هذه الثلاث صفات :

هو الإنكار والتعطيل ، ويفسرون هذه الصفات بآثارها ومقتضياتها ، فيقولون غضب اللّه عليهم أي عذبهم أو يفسرونها بالانتقام وعدم التوفيق والخذلان ، فقوله: { **كره اللّه انبعاثهم** } [75] أي لم يوفقهم .

الصفة الحادية عشر : صفة النزول

قال المصنف : ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا))

ذكر المصنف لذلك دليلاً من السنة : " ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا"[76] الحديث .

مسألة : مذهب أهل السنة والجماعة في صفة النزول :

أنهم يثبتونه لله في كل ليلة إلى السماء الدنيا ، وهذه الصفة من الصفات المتعلقة بالمشيئة .

مسألة : مذهب المعطلة في هذه الصفة :

1 - مذهب الجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشاعرة والماتريدية : كل هؤلاء ينكرون صفة النزول ، ويفسرون النزول إما بنزول أمره ، وإما بنزول ملائكته أو رحمته .

---

[73] محمد : 28 .

[74] التوبة : 46 .

[75] التوبة : 46 .

[76] سبق تخريجه .

2 - مذهب الكلاّبية : وهؤلاء يثبتون النزول لله ، ويقولون : إن النزول صفة من صفات اللَّه ، لكن حينما يفسرون هذه الصفة ، يفسرونها بتفسير يدل على أنه مخلوق ، فيقولون : معنى ينزل اللَّه ، أي أنه فعل يفعله اللَّه في السماء الدنيا سماه نزولاً، ومعنى كونه فعلا ، أي شيء مفعول مخلوق .

فكلامهم تماماً مثل كلام الجهمية ، إلا أنه مخفف العبارة أو مغلّف بغلاف يخدع الناظرين، فإذا قالوا إنه من صفات اللّه الفعلية ظن الظان أنهم يثبتون الصفة كالسلف ، لكن إذا قالوا فعل يفعله اللّه في السماء ، انفضح أمرهم ، لأنهم يجعلونه مخلوقاً ، أو شيئا مفعولاً، وعلى هذا المذهب البيهقي في الأسماء والصفات ، وكذا أبو الحسن الأشعري والباقلاني ، وكذلك ابن كلاب إمامهم.

مسائل في صفة النزول لله تعالى :

1 - هل يقال : إن اللّه ينزل إلى السماء الدنيا بدون حركة ولا انتقال ؟

الجواب أن نفي الحركة والانتقال أو إثباتهما يحتاج لدليل لذا يُسكت عن ذلك ويقال كما قال اللّه ينزل ونقف حيث وقف السلف فهم عن علم وقفوا ولا ننفي أو نثبت الحركة أو الانتقال إلا أن بعض السلف ذكر النزول بحركة وانتقال في باب الردود لما ردوا على الكلاّبية .

2 - أورد المعطلة شبهات حول صفة النزول وقالوا إن اللَّه ينزل في الثلث الأخير من الليل فيلزم أن اللّه دائم نازلا لأنه لا يخلو مكان من ليل ؟

والجواب :أن يقال : إن اللَّه ليس كمثله شيء ، فكما أن اللَّه يسمع الأصوات ولا يشغله صوت عن صوت ولا يقال إذا كان يسمع هذا الصوت فإنه ينشغل عن الصوت الآخر ولا يقال إنه لكثرة الأصوات فيلزم أن اللّه دائم يسمع فقط.

مثال آخر : الحساب يوم القيامة فإن لله يحاسب الخلق في ساعة واحدة ولا يشغله محاسبة عن محاسبة ، كما أنه يرزق الخلق في ساعة واحدة ، ويميت ويحيي ولا يشغله عمل عن عمل لأن اللّه ليس كمثله شيء وإنما هذا المخلوق الضعيف الذي إذا تكلم أو انشغل في عمل انصرف عن الأشياء الأخرى أو إذا نزل في مكان لم ينزل في غيره في ساعته [77].

---

[77] ومن أراد مزيد الرد ففي كتاب ابن تيمية واسمه شرح أحاديث النزول ص 68 ، 106 ، ورسالة ابن رجب في فضل علم السلف ص 6، وشرح الهراس لكتاب التوحيد لابن خزيمة لما ذكر صفة النزول لله تعالى .

الصفة الثانية عشر : صفة العَجَب لله سبحانه وتعالى

قال المصنف : وقوله ((يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة))

الـشــرح

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفة على ما يليق بجلاله ، واستدل المصنف بحديث إثبات صفة العجب لله سبحانه ، وهو قوله ﷺ : " [illegible] " [78].

[illegible] .

[illegible] ([illegible] / [illegible]) [illegible] .

الصفة الثالثة عشر: صفة الضحك لله تعالى

قال المصنف : وقوله ((يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة))

الـشــرح

مذهب المعطلة في صفة الضحك :

كل المعطلة ينفون هذه الصفة ويفسرونها بالقبول ، ثم بعد ذلك علق المصنف رحمه اللّه بالإجمال في ذكرمذهب السلف .

مسألة :

هناك من أهل السنة من أول صفة الضحك لله كابن عبد البر رحمه اللّه ، فإنه

لم يثبت هذه الصفة لله وإنما أولها ، وتأويله لهذه الصفة لا يخرجه عن مسمى أهل السنة والجماعة ؛ لأن القاعدة : أن من كان موافقاً لأهل السنة في المنهج وفي الأصول ويرى إثبات الصفات لله ، ويثبت ما أثبته اللّه لنفسه لكنه قد يزلّ في صفة أو صفتين ، فيؤولها ولكن لكل جواد كبوة ، لكن يبقى من أهل السنة والجماعة .

فصل

ثم بعد ذلك أجمل المصنف مذهب أهل السنة والجماعة في باب الصفات .

---

(78) رواه أحمد في مسنده 4/151 (ح 17409) .

قال المصنف :

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه اهـ

ويلاحظ في كلام المصنف أمور ، تعتبر قواعد في باب الأسماء والصفات ، فذكر ما يأتي :

1 ـ الإيمان بالأسماء والصفات .

2 ـ أنكر الرد المنافي للقبول والانقياد ، وأنكر الجحد ، ومنه التكذيب المنافي للإقرار والتصديق ، ونفى التأويل وقيد نفي التأويل ، بالتأويل المخالف لظاهر النص والسياق ، ونفى التشبيه المنافي للتوحيد ، ثم استدل المصنف على القواعد التي أصّلها بقوله تعالى : **{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }** [79] .

ثم بعد ذلك عاد المصنف بإثبات جملة من صفات اللَّه تعالى ، إلا أن هذه الصفات التي سوف نتحدث عنها مهمة جداً ، وتمس واقع المصنف وهي من أهم الصفات التي كثر فيها الكلام والمعارك مع أهل الكلام خصوصاً الأشاعرة ، ولذلك يلاحظ في الصفات التي سوف يذكرها أنه يطيل في الاستدلال ، ويكثر من الآيات والأحاديث التي تثبتها مما يدل على أن المصنف يواجه صراع فكري مع مبتدعة زمانه من أهل الكلام ، خصوصاً الأشاعرة في ذلك .

والصفات التي أطال المصنف النفس فيها ست صفات :

1 ـ الاستواء .

2 - العلو .

3 - كلام اللَّه .

4 - ما يتعلق بالقرآن .

5 ـ صفة رؤية المؤمنين لربهم ، وأنه يُرى تعالى يوم القيامة .

6 ـ صفة أنه فعال لما يريد .

وبهذه الصفات الست ختم الفصل الذي يتعلق بمذهب السلف في باب الأسماء والصفات ، وسوف نتناول هذه الصفات إن شاء اللَّه على ترتيب المصنف .

---

(79) الشورى : 11 .

وهي الصفة الرابعة عشر
الاستواء : (وهو تابع للترقيم السابق)
قال المصنف :
ومن ذلك قوله تعالى { الرحمن على العرش استوى } ،....... إلى أن قال : وذكر الخبر إلى قوله ((وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك)) فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله
سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل يا أبا عبد الله { الرحمن على العرش استوى } كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بالرجل فأخرج .
الـشــرح
المسألة الأولى : معنى الاستواء :
الاستواء لغة : يطلق على العلو والاستقرار والقصد والارتفاع .
شرعاً : يطلق على علو اللَّه واستقراره على العرش ، وأهل السنة والجماعة يثبتون استواء اللَّه على عرشه بهذا المعنى ، علا واستقر وارتفع وبعضهم يضيف قعد وجلس.
المسألة الثانية : معنى العرش :
العرش يطلق على سرير الملك .
وأما شرعاً : فهو مخلوق عظيم خلقه اللَّه تعالى ثم استوى عليه وهو سقف العالم وله قوائم .
المسألة الثالثة : مذاهب الناس في الاستواء على العرش :
أما مذهب أهل السنة والجماعة فقد مضى ، أما المعطلة فكلهم ما عدا الكلاّبية ومتقدمي الأشاعرة ينفون هذه الصفة ، وهم الجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشاعرة والماتريدية ، فهم ينفون صفة الاستواء على العرش لله تعالى ، ويقولون : استوى بمعنى استولى ، ويفسرون العرش بالملك ، أي استولى على الملك .
مذهب الكلاّبية ومتقدمي الأشاعرة كأبي الحسن الأشعري والباقلاني وبعض ممن تأثر بهم كالبيهقي، فهؤلاء يثبتون أن اللَّه استوى على العرش ولكن يفسرونه بتفسير دقيق قد يخفى على الناظر ، فيظن أنهم موافقون لأهل السنة وتفسيرهم كالتالي :
يقولون : أن اللَّه استوى على العرش وهي صفة من صفات اللَّه ، وهي من الصفات الفعلية لله ومعنى أنها صفات فعلية أي أن اللَّه فعل فعلاً على العرش سماه استواءً .

والناظر في هذا الكلام يقول : هذا مذهب السلف ، لكنهم يقصدون أنه فِعْل أي مفعول أي أن هذا الفعل الذي فعله اللَّه على العرش مخلوق بائن عن ذاته، وهنا يتضح أنهم يؤولون هذه الصفة لأنهم لا يجعلونها من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة اللَّه ، وإنما يجعلونها من باب المفعول ، ومثل صفة الاستواء تماماً وعلى منهج هؤلاء صفة النزول ، فإنهم يقولون أن النزول صفة من صفات اللَّه الفعلية بمعنى أن اللَّه فَعَل فعلاً في السماء ، أي خلق شيئاً في السماء وسماه نزولاً.

وهذا هو كلام البيهقي وابن فورك وهو مذهب الكلاّبية في صفات اللَّه الاختيارية ، التي تتعلق بالمشيئة .

مسألة : هل يقال : إن اللَّه استوى على العرش بمماسه له أو بدون مماسه :

الجواب : مثل هذه العبارات يسكت عنها السلف فلا يتكلمون عنها نفياً ولا إثباتاً لعدم ورود ذلك .

والقاعدة : أن صفات اللَّه توقيفية فلا يتحدث بنفي أو إثبات إلا بدليل وذهب بعض العلماء إلى النفي ، فيقولون : إن اللَّه استوى على العرش بلا مماسه ، وهذا قول ضعيف . وقد يفعله بعض السلف الصالح في باب الردود .

مسألة : هل إذا نزل اللَّه إلى السماء الدنيا يخلو منه العرش أو لا ؟

هذه المسألة مثل التي قبلها ، فيقال : إن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا ويقال إن اللَّه على عرشه ويسكت عن قضية خلو العرش ، وذهب بعض أهل الحديث وهم قليل ، ومنهم ابن منده ، وقال : إن اللَّه إذا نزل إلى السماء الدنيا خلا منه العرش ، وهذه من المآخذ على ابن منده ، والقاعدة أن نقف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا .

الصفة الخامسة عشر : صفة العلو

قال المصنف :

وقوله تعالى { أأمنتم من في السماء } وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك)) وقال للجارية ((أين الله)) قالت في السماء قال ((أعتقها فإنها مؤمنة)) رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين ((كم إلها تعبد)) قال سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء قال ((من لرغبتك ورهبتك))

قال الذي في السماء قال ((فاترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين)) فأسلم وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ((اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي))
وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء .
وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إن ما بين سماء مسيرة كذا وكذا)) وذكر الخبر إلى قوله ((وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك)) فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله
سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل يا أبا عبد الله { الرحمن على العرش استوى } كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بالرجل فأخرج .

الـشــرح

المسألة الأولى :
يلاحظ أن المصنف رحمه اللَّه أطال في مسألة العلو واستدل بأدلة كثيرة ، فاستدل بآية ثم استدل بأربعة أحاديث ، واستدل بنقل أيضاً ، في حين أن الصفات التي قبل هذه الصفة لم يطل فيها النَفَس ولم يحشد لها أدلة كثيرة ، والسبب واللّه أعلم أن قضية العلو من أكثر القضايا التي دارت حولها المعارك الكلامية بين أهل السنة والأشاعرة والمصنف عاش في عصر استطال فيه الأشاعرة ومن ثم أكثر من الأدلة لإثبات هذه الصفة العظيمة .
المسألة الثانية : مذهب السلف في مسألة العلو :
مذهبهم إثبات العلو لله على ما يليق بجلاله سواء أكان علو الذات أو علو القدر أو علو القهر ، فهذه ثلاث علوات ثابتة لله تعالى ، ويثبتون لله جهة العلو، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر ، بل دل على إثبات العلو القرآن والسنة والإجماع والعقل والفطرة ، بل حتى البهائم تثبت لله العلو ، فإنها ترفع وجهها وبصرها إلى السماء ، وقد نقل الصابوني في كتاب عقيدة أهل الحديث إجماع السلف على إثبات صفة العلولله وأن منكر العلو كافر .
المسألة الثالثة : مذهب أهل الكلام في العلو :

1 ـ مذهب الكلّابية والأشاعرة الأولى ومثلهم الكرّامية : أنهم يثبتون العلو لله بأنواعه الثلاثة ، علو القدر وعلو القهر وعلو الذات .
2 ـ مذهب الجهمية والمعتزلة والماتريدية ومتأخري الأشاعرة :
فهؤلاء يثبتون لله علو القدر والقهر فهو عالي في قدره وقهره وصفاته وينفون علو الذات وعلو المكان، ويقول الجهمية أنه في كل مكان ، وأما الماتريدية والأشاعرة فيقولون لا خارج العالم ولا داخله ولا متصل ولا منفصل ولا فوق ولا تحت .
المسألة الرابعة : بماذا يفسر أهل البدع الآيات المثبتة للعلو ؟
الجواب : أنهم يفسرونه بعلو القدر والقهر والملك ، ويقولون في قوله تعالى : {**أأمنتم من في السماء** } [80] يقولون : أأمنتم من ملكه السماء ، ويرد عليهم أن ملك اللّه في السماء والأرض ، وكذا في حديث : أين اللّه ، قالت : في السماء ، أي : ملكه في السماء .
وقد ختم المصنف الحديث عن صفة العلو ، وذكر إجماع السلف على إثبات العلو .
مسائل في صفة العلو :
1 ـ هل يثبت لله الجهة أنه في جهة العلو ؟
الجواب : نعم بإجماع السلف .
2 ـ هل يُسأل عن اللّه بالأين ، أي : يقال أين اللَّه ؟
الجواب : نعم ، بإجماع السلف لحديث : " أين اللَّه ؟ قالت : في السماء ".
مسألة :
يرد في الآيات والأحاديث عبارة (في السماء) مثل قوله تعالى : {**أأمنتم من في السماء**} [81]، وكما في الحديث الصحيح : قال : " أين اللّه ؟ قالت: في السماء " [82]، فما معنى في السماء ؟
الجواب : أن تحديد تفسير كلمة في يتوقف على ما المقصود بكلمة السماء ، فإن قُصد بكلمة (السماء) بمعنى العلو فإن (في) على بابها ويكون في السماء أي في العلو .
وإن قُصد بالسماء أي السموات السبع المعهودة، فمعنى في ، أي : على ، ويكون المعنى اللّه على السموات فوق عرشه ، وكلا المعنيين صحيح . وهو مذهب أهل السنة والجماعة .

الصفة السادسة عشر : صفة الكلام :
قال المصنف :

---

[80] الملك : 16 .
[81] الملك : 16 .
[82] رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم (836) ، والنسائي في السهو برقم (1203) ، وأبو داود في الصلاة برقم (795).

قوله : (ومن صفات اللَّه تعالى ، أنه متكلم بكلام قديم ، يسمعه منه من شاء من خلقه ، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله ، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة، ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه ، قال اللّه تعالى : { وكلم اللَّه موسى تكليماً} [83] ، وقال سبحانه : { يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي بكلامي } [84] ، وقال سبحانه : { منهم من كلم اللّه } [85] ، وقال سبحانه : { وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحياً أو من وراء حجاب } [86] ، وقال سبحانه: {فلما أتاها نودي يا موسى . إني أنا ربك} [87] ، وقال سبحانه : {إنني أنا اللّه لا إله إلا أنا فاعبدني } [88] ، وغير جائز أن يقول هذا أحد غير اللّه .

وقال عبد اللّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - : إذا تكلم اللَّه بالوحي، سمع صوته أهل السماء ، روي ذلك عن النَّبِيّ ﷺ .

[illegible] " [illegible] [89] " [illegible]

[illegible]

[illegible]).

[illegible] :

[illegible] :

---

(83) سورة النساء : 164 .

(84) سورة الأعراف : 144 .

(85) سورة البقرة : 253 .

(86) سورة الشورى : 51 .

(87) سورة طه : 12 ، 13 .

(88) سورة طه : 14 .

(89) أحمد 3/495 (ح 16085) .

[illegible]

(90) سورة فصلت : 42 .
(91) سورة الإسراء : 88 .
(92) سورة سبأ : 31 .
(93) سورة المدثر : 25 .
(94) سورة المدثر : 26 .
(95) سورة يس : 69 .
(96) سورة البقرة : 23 .
(97) سورة يونس : 15 .
(98) سورة العنكبوت : 49 .
(99) سورة الواقعة : 77-79 .
(100) سورة مريم : 1 .
(101) سورة الشورى : 1 .

(102) رواه أحمد في مسنده 3/64 (ح 11632) .

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ((إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)) متفق عليه .

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

الـشـرح

تكلم المصنف هنا عن الرؤية يوم القيامة وأفرد لها فصلاً مستقلاً، فقال : " والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم .

والرؤية فيها مسائل :

1 - أن المصنف تكلم عن الرؤية يوم القيامة ، لكن قبل يوم القيامة هل هناك رؤية ؟ وهل يُرى اللّه في الدنيا ؟

المسألة فيها مذهبان فيما أعلم :

الأول : مذهب الصوفية : وهؤلاء يرون أن اللَّه يُرى في الدنيا يقظة وأن الأولياء يرون اللَّه في الدنيا فيكلمهم ويكلمونه .

الثاني : مذهب السلف وهو أن اللّه لا يُرى في الدنيا بإجماع السلف ، واستدلوا بقوله تعالى : { **لن تراني ولكن انظر إلى الجبل** } [103] .

لكن اختلف السلف في النَّبِيّ خاصة هل رأى ربه في الدنيا أم لم يره ، والخلاف وقع بين الصحابة :

القول الأول : أنه لم يره ببصره ولا بعين رأسه .

واستدلوا لهذا - وهو قول الجمهور - بحديث عائشة : من قال إن الرسول رأى اللَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية .

واستدلوا بحديث أبي ذر لما سأله : هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنَّى أراه .

والقول الثاني : أنه رآه .

واستدلوا بقول اللّه تعالى : { **ولقد رآه نزلة أخرى** } [104] ، وقوله : {**ثم دنى فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى**} [105] ، وحديث : " رأيت ربي بأحسن صورة" [106].

والصحيح القول الأول .

ثم هل رآه رؤية قلب ومنام في الدنيا أم لا ؟

والصحيح أنه رآه في المنام ، وهو اختيار ابن تيمية ، وهو مضمون قوله عليه السلام : " رأيت ربي في أحسن صورة " ، وهذا المشهور بحديث اختصام الملأ الأعلى . وهذا الحديث ألف فيه ابن رجب رسالة .

2 - هل يرى في الآخرة يوم القيامة ؟

هذه المسألة فيها مذاهب :

أ - مذهب أهل السنة والجماعة : وهو أن اللَّه يُرى في الآخرة في موضعين ، في عرصات القيامة ، يراه المؤمنون بأبصارهم ، ذكر

---

[103] () سورة الأعراف : 143 .

[104] () النجم : 13 .

[105] () النجم : 8 .

[106] () رواه الترمذي في سننه 5/366 (ح 3233) ، والدارمي 2/170 (ح 2149) ، وأحمد 1/368 (ح 3484) .

ذلك ابن تيمية في الواسطية ، وقال : يرونه سبحانه في عرصات القيامة ، ويُرى أيضاً في الجنة وهو الذي أشار إليه المصنف بقوله : ويزورهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه ، إلا أن المؤمنين يتفاوتون في الرؤية على حسب درجاتهم ، فمنهم من يراه كل يوم ومنهم من يراه كل جمعه، ومنهم من يره فوق ذلك ، والرؤية أعظم نعيم الجنة .

واختلف أهل السنة والجماعة بالنسبة لرؤية الكفار لربهم يوم القيامة ، وقد ظهر الخلاف في هذه المسألة تقريباً في القرن الثالث على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الكفار لا يرون اللَّه بحال من الأحوال سواء كان كافراً أصلياً أم مرتداً ، أو كان ممن يظهر الإيمان ويُسر الكفر وهم المنافقون أو غيرهم ، فلا يرى أحدٌ من هؤلاء اللّه عز وجل يوم القيامة، وهذا هو الذي اختاره المصنف ، ولذا قال : { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } [المطففون 15]

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق اهـ وعليه أكثر العلماء .

القول الثاني : أن الكافر الأصلي لا يراه أما المنافق وهو من يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، فإنه يراه في عرصات القيامة ، ثم يحتجب اللّه عنهم ، واختار هذا ابن خزيمة في كتاب التوحيد .

القول الثالث : أن الكفار يرونه لكنها رؤية عذاب كاللص حينما يراه السلطان، واستدلوا على ذلك بأحاديث اللقاء والكلام ؛ لأن اللّه يكلم الكافر، وعندهم أن الكلام واللقاء يستلزم الرؤية . والله اعلم بالراجح في هذه المسالة ، لكن الأول أقوى .

مسألة : مذاهب الناس في الرؤية :

أ ـ مذهب الأشاعرة : وهم يثبتون الرؤية ويقولون أن اللَّه يُرى يوم القيامة ، لكن يقولون يُرى لا عن مواجهة لأنهم لا يثبتون العلو ، وأيضاً يقولون لا عن معاينة ، ويجعلون رؤيته رؤية علمية ، بمعنى العلم واليقين والكشف، وهذا في الحقيقة نفي للرؤية ، وإنما يتسترون بقولهم إن اللّه يُرى ، فإذا قيل كيف يُرى ؟ هل يرونهم بأبصارهم ؟ قالوا لا ، وإنما يرونه بقلوبهم .

ب ـ والماتريدية ، وهم مثل مذهب الأشاعرة كما سبق .

جـ - مذهب المعتزلة والجهمية والخوارج والرافضة ، وهؤلاء ينفون الرؤية ويقولون إن اللّه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وذكر المصنف الأدلة التي تدل على الرؤية :

1 - قوله تعالى : **{ إلى ربها ناظرة }** [107] .

---

[107] القيامة : 23 .

2 - قوله تعالى : { **كلا إنهم عن ربهم يؤمئذٍ لمحجوبون** } [108] **،** والدليل يكون بمفهوم المخالفة . فإذا كان الكفار يومئذ عن ربهم محجوبون ، فيدل بمفهوم المخالفة أن المؤمنين ليسوا محجوبين بل يرونه .

3 - من السنة : حديث " إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر " .

وأشار المصنف في آخر البحث إلى مسألة متعلقة بحديث [109] : " إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر " ، فقد يقول قائل : إن قوله " كما ترون القمر " أن الكاف للتشبيه ، وأنه تشبيه اللّه تعالى بالقمر ، فرد المصنف على هذا الاستشكال ، وقال : إن التشبيه هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ، ويدل على ذلك أن اللّه لا شبيه له ولا نظير له .

فصل في القضاء والقدر

قال المصنف :

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه ،

خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته قال الله تعالى { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } وقال الله تعالى { إنا كل شيء خلقناه بقدر } وقال تعالى { وخلق كل شيء فقدره تقديرا } وقال تعالى { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } وقال تعالى { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا } وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) فقال جبريل صدقت رواه مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره)

---

[108] المطففين : 15 .

[109] أخرجه البخاري في صحيحه 1/209 (ح 547) ، 1/277 (ح 773) ، ومسلم في صحيحه 1/163 (ح 182) .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر (وقني شر ما قضيت)
ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل قال الله تعالى { لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل }
ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك وأنه لم يجبر أحدا على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة قال الله تعالى {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } وقال تعالى { فاتقوا الله ما استطعتم } وقال تعالى { اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم } فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره .

الشرح :

وفيه مسائل :
المسالة الأولى : لماذا ذكر المصنف مسألة القضاء والقدر وأتبعها بمبحث الصفات ؟
الجواب : نص عليه المصنف فقال : ومن صفات اللَّه تعالى أنه فعال لما يريد ، ثم ذكر أن من صفات اللَّه الإرادة والمشيئة ، ومن ثم فإن المصنف لم يخرج عن باب الصفات ، فهو يقضي ويقدّر وله المشيئة والإرادة .
والأصل في هذا الفصل أنه لذكر صفة أنه تعالى فعّال لما يريد ، وذكر صفتي المشيئة والإرادة لله تعالى ثم بعد ذلك ذكر بعض مسائل القضاء والقدر ؛ لأنهما لهما علاقة بصفة المشيئة والإرادة وأنه فعّال لما يريد ، ثم ذكر عشر مسائل من المسائل التابعة للقضاء والقدر وهي :
1 - مسألة ارتباط القضاء والقدر بالمشيئة والإرادة ، قال المصنف : (**لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته**)وهي إحدى مراتب القضاء والقدر .
2 - مسألة عموم القضاء والقدر من قوله : (**وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره**) .
3 - مسألة نفوذه ولزومه (**ولا محيد عن القدر المقدور**) .
4 - مسألة اللوح المحفوظ وعلاقته بالقدر (**ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور**) وهذه مرتبتة من مراتب القدر.
5 – مسألة تعلق الإرادة بأفعال العباد (**أراد ما العالم فاعلوه**) .

6 - مسألة الخذلان وعدم العصمة من قوله (**ولو عصمهم لما خالفوه**) .
7 - - مسألة تعلق المشيئة بأفعال العباد (**ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه**) .
8 - مسألة خلق أفعال العباد (**خلق الخلق وأفعالهم**) .
9 - ومن مسائل القدر مسألة الضلال والهداية من قوله (**يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته**) .
10 – مسألة تقدير الأرزاق والآجال (**وقدّر أرزاقهم وآجالهم**) .
هذه عشر مسائل من مسائل القدر عادة يبحثها العلماء في باب القضاء والقدر فأشار إليها المصنف إشارات سريعة وبيّن فيها مذهب السلف في ذلك واعتقادهم في كل مسألة من المسائل العشر .
ثم في آخر فصل القضاء والقدر بحث أربع مسائل تابعة للقدر وهي :
1 - مسألة الاحتجاج بالقدر في المعصية وعدم الطاعة ، ولذا قال : (**ولا يجعل قضاء اللّه وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه**) .
2 - مسألة الاستطاعة في الأوامر والنواهي فعلاًأو تركاً فقال (**ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك**) .
3 - مسألة الجبر والاختيار من قوله : (**وإنه لم يجبر أحداً على معصية ولا اضطرّه إلى ترك طاعة**) .
4 ـ - مسألة الكسب وعلاقته بالقدر من قوله (**أن للعبد فعلاً وكسباً يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء اللّه وقدره**) .
فالمجموع أربعة عشرة مسألة متعلقة بالقدر .
المسالة الثانية : المصنف قال في بداية الفصل (القضاء والقدر) وهنا عطف القدر على القضاء والواو تقتضي المغايرة فهل بينهما فرق أم هما بمعنى واحد ؟
الجواب : أن القضاء والقدر كمسألة الإسلام والإيمان ، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، فإذا افترقا فذكر القدر لوحده أو القضاء لوحده يدخل معنى هذا في معنى هذا ، وأما إذا اجتمعا فإنه يختص كل منهما بمعنى ، فيكون معنى القدر يأتي بمعنى التقدير أي ما قدره اللّه في الأزل ، وعلمه وكتبه ، ويكون معنى القضاء أي الخلق وهو ما يقضيه في خلقه من إيجاد وعدم ، فيشمل مرتبة

الخلق ، وعلى هذا المعنى فالقدر يسبق القضاء فإن اللَّه يقدر الشيء علما ومشيئة وكتابة ثم يقضيه وجوداً .

مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر :

أهل السنة والجماعة يؤمنون بالقضاء والقدر ويقسمونه أربع مراتب ، أشار إليها ابن تيمية في الواسطية ، وهي كالتالي :

أ - مرتبة العلم : وهو أن اللَّه عالم كل شيء ، وعلم ما سيكون وما لم يكن، وهذه المرتبة أثبتها أهل السنة ، بل أثبتها جميع المذاهب ، ما عدا غلاة المعتزلة وهم القدرية الأولى ، وهؤلاء عاصروا ابن عمر وكفّرهم .

ب - مرتبة المشيئة : وهي مشيئة اللَّه وإرادته لما علمه وكتبه أن يكون .

جـ - مرتبة الكتابة : وهو أن اللَّه كتب في اللوح المحفوظ ما سيكون وهذه أيضاً أنكرها غلاة المعتزلة كما سبق ، وأقر بها جميع المذاهب .

د - مرتبة الخلق : وهو خلق الاشياء وإيجادها على وفق ما علمه وشاءه وكتبه، وهذه المرتبة هي التي يطلق عليها القضاء إذا اجتمعت مع القدر ، فالمراتب التي قبلها يطلق عليها القدر .

ب - مذهب المعتزلة وهم قسمان :

1 - غلاة المعتزلة : ويسمون القدرية ، فهؤلاء ينكرون علم اللَّه للأشياء ومشيئته لها وكتابته لها ، لأنهم إذا أنكروا علمه لها فمعلوم أنهم سوف ينكرون ما بعد العلم من المشيئة والكتابة والخلق لها .

2 - المعتزلة غير الغلاة : وهم الذين يثبتون علم اللَّه للأشياء ، ويثبتون لله الكتابة ، لكن بالنسبة للمشيئة والخلق ، يقولون هناك أشياء شاءها اللّه وخلقها ، وهي كل شيء ما عدا أفعال العباد ، فهذه علمها اللّه وكتبها ولكن لم يشأها ولم يخلقها.

جـ - مذهب الجبرية : وهم الجهمية والاشاعرة والرافضة وهؤلاء يقولون أن العباد مجبورون على أفعالهم ، لم يخلقوها ، بل اللّه أجبرهم عليها ، ولذا سموا جبرية .

استدل المصنف على ذلك بأدلة منها قوله تعالى : { **إنا كل شيء خلقناه بقدر**} (110) ، وقوله : { **وخلق كل شيء فقدره تقديراً** } (111) ، وقوله : { **ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**}(112)، وقوله : { **من يرد اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام** } (113) .

---

(110) القمر : 49 .

(111) الفرقان : 2 .

(112) الحديد : 22 .

(113) الأنعام : 125 .

ثم استدل من السنة بحديث جبريل : " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره "[114].

د - هل نحن مأمورون بالرضى بكل ما يقضيه اللَّه ويقدره ؟

فيه تفصيل :

أما القضاء والقدر الذي هو فعل اللَّه ، فهذا نرضاه كله وهو خير كله وهو عدل كله لأنه فعل اللّه وأما المقضي وهو فعل العباد ففيه تفصيل :

فيه ما يُحب من أفعال العباد وهو طاعتهم وفيه ما يبغض كمعاصيهم ، فمثلاً القتل من حيث أن اللّه كتبه وشاءه فإنا نرضى ونسلم ، أما بالنسبة للقاتل وهو فعله، فهذا نسخطه ولا نرضاه ، إن كان عدواناً ونحبه ونرضاه إن قتل الكفار .

5 - قوله : " وبالقدر خيره وشره " هل القدر فيه شر ؟

نقول أما باعتبار فعل اللّه ليس فيه شر كما في الحديث الصحيح : " والشر ليس إليك " [115] ، وأما بالنسبة للمقضي ففيه شر ، فالشيطان شر وأفعاله شر ، قال تعالى : { **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس** } .

6 - هل يُنسب الشر إلى اللّه مفرداً ؟

الملاحظ في الكتاب والسنة أن الشر يُنسب إلى السبب كقوله : { **من شر ما خلق** } [116] ، أو يُحذف فاعل الشر كقوله : { **وأنّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً** } [117] ، وكما في حديث : " والشر ليس إليك".

مسألة : الاحتجاج بالقدر على المعاصي :

قال المصنف : ولا نجعل قضاء اللّه وقدره حجة لنا ، فليس القدر حجة للعاصي، أن يعصي ثم يقول : هذا شيء قدره اللّه . أو يمتنع من الطاعة ، ويقول : لو شاء اللّه لجعلني أفعلها ، فالحجة لله وكل ميسر لما خُلق له ، بل هي سنة الجاهلية. قالوا : { **لو شاء الرحمن ما عبدناهم** } [118] ، وقوله : { **ولو شاء اللّه ما أشركنا**}[119] .

أما الاحتجاج بالقدر في المصائب فلا مانع مثل لو فعل الإنسان الأسباب ، أسباب السلامة ّلما سافر لكن وقع له حادث له أن يقول (قدر اللّه وما شاء فعل) وهذا قدر كتبه اللّه عليّ فيما لو احتج عليه محتج .

---

[114] رواه مسلم في صحيحه 1/36 (ح 8) .

[115] رواه مسلم في صحيحه 1/534 (ح 771) .

[116] الفلق : 2 .

[117] الجن : 10 .

[118] الزخرف : 20 .

[119] الأنعام : 148 .

ب - وكذا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعايب إذا تاب منها كما لو احتج عليه محتج ، في ذنوب فعلها سابقاً لكن تاب منها، فله أن يقول : قدرها اللَّه علي لكن بشرط أن يقول ذلك بعد أن تاب منها ، لحديث قصة المحاجة بين آدم وموسى عليهما الصلاة السلام .

فصل

عــن الإيــمــان

قال المصنف

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان قال الله تعالى { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) فجعل القول والعمل من الإيمان وقال تعالى { فزادتهم إيمانا } وقال { ليزدادوا إيمانا }

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان) فجعله متفاضلا .

ثم ذكر المصنف مسائل الإيمان وما يتعلق بها :

المسألة الأولى : تعريف الإيمان :

لغة : هو بمعنى التصديق والإقرار ، قال تعالى : **{ وما أنت بمؤمن لنا }** أي بمصدق

ووقع خلاف في تعريف الإيمان شرعاً على النحو التالي :

1 - **مذهب أهل السنة والجماعة :** أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، وهذا بإجماع السلف . قال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد : أدركت ألفاً من العلماء كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل .

2 - **مذهب الجهمية :** ويسمون غلاة المرجئة ، والإيمان عندهم المعرفة والعلم فقط ، ولا يدخلون غيره في مسمى الإيمان ، فمن عرف اللَّه وعلم بالله فهو مؤمن كامل الإيمان ، وذكر مذهبهم هذا ابن بطة في كتابه " الإبانة الكبرى".

وذكره أيضاً ابن تيمية في كتابه " الإيمان " ، وذكره أبو يعلى في كتابه "الإيمان" ، وذكره أبو عبيد في كتابه " الإيمان " ، وذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" ، لما ذكر اعتقادات المرجئة ويلزم من كلامهم أن إبليس مؤمن لأنه يعرف

اللَّه ، ويلزم منه أن فرعون وقريشاً وأبا طالب من أهل الإيمان ؛ لأن عندهم العلم والمعرفة بالله تعالى ، ولذلك سموا غلاة المرجئة .

3 - - **مذهب الكرامية :** عندهم الإيمان قول اللسان فقط فلا يُدخلون التصديق وإنما هو المعرفة مع القول ، فمن عرف اللّه وقال بلسانه كلمة التوحيد فهو مؤمن، وهم يقولون أن المنافق مؤمن وهذا نص كلامهم لأنهم يقولون لا إله إلا اللّه ، وفي الآخرة كفار مخلدون ، وفي الدنيا مؤمنون ، وهم يأتون في المرتبة الثانية في الغلو بعد الجهمية .

4 ـ **مذهب الأشاعرة :** وهم في باب الإيمان مرجئة ، وقولهم قريب من قول الجهمية ، وإن كانوا أحسن منهم باعتبار ، إلا أنهم أضافوا مع المعرفة التصديق ، فقالوا " الإيمان هو المعرفة والتصديق".

5 - **مذهب الماتريدية :** وهم طائفة من المرجئة ، ومذهبهم أن الإيمان هو المعرفة
بالإضافة إلى الإقرار والتصديق ولكن لا يُدخلون العمل في مسمى الإيمان ، وهم في هذا كالاشاعرة .

6 ـ **مذهب مرجئة الفقهاء :** ومذهبهم في الإيمان أن القول والتصديق مع بعض أعمال القلوب كالمحبة والتعظيم وعدم الاستخفاف فالإيمان قول واعتقاد وبعض أعمال القلوب ذكر ذلك عنهم الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين لما تكلم عن المرجئة المحضة وقاله ابن تيمية في كتابه الإيمان .

7 ـ **مذهب المرجئة المعاصرة** (ويدخل معهم في ذلك العصرانيين في الجملة) **:** فهؤلاء عندهم الإيمان هو المعرفة وأيضاً التصديق والإقرار ولا يدخلون العمل في مسمى الإيمان وهذه فرقة فيهم وأكثرهم يُدخلون العمل في مسمى الإيمان ، لكن الأعمال ليست شرطاً إنما هي شرط للكمال، ولا يكفرون بالأعمال ، وإنما الكفر عندهم الاستحلال والتكذيب ، وإذا صدر من إنسان كفراً أو أعمالاً دلت النصوص على أنه كفر لم يكفروا بها حتى يظهر بلسانه الاستحلال أو التكذيب .

8 - **مذهب الخوارج والمعتزلة :** عندهم أن الإيمان قول وعمل واعتقاد كمذهب السلف إلا أن معنى العمل عندهم كل الطاعات ، أي كل الطاعات إيمان وكلها شرط في الإيمان ويكفر إذا تركها ، والسلف عندهم الأعمال منها ما هو شرط يكفر بتركه ومنها ما هو واجب يفسق بتركه ومنها ما هو مندوب . المراجع: الإيمان لأبي عبيد ، مقالات الإسلاميين للأشعري .

9 ـ إما الخوارج المعاصرة اليوم فهم من يكفر الناس (أي المجتمعات المسلمة) بدون تفصيل ، أو من يكفر بالعموم باعتبار الأفراد والأعيان ولا يستثني أحدا منهم ، وبعضهم لا يكفر بالعموم لكن عنده توقف وتبين فيمن ظاهره الإسلام اليوم حتى يتضح إسلامه .
10 ـ أما مذهب الحكام والعلمانيين اليوم في الإيمان فهو الصلاة والحج والصيام فقط أما السياسة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة وقضايا المرأة والتعليم والاجتماع والتغيير والمواجهة فليست من الإيمان بل هي تطرف وإرهاب وتدخل فيما لا يعني . أما **غلاة** العلمانية كالشيوعيين والحداثيين فهم لا يعترفون أصلا بالدين قاتلهم الله جميعا ولعنهم لعنا كبيرا .
هذا مذاهب الناس في الإيمان .
قال المصنف : **(والإيمان قول باللسان)** فجعل القول باللسان ، مثل الشهادتين ، وهذه أعلى إيمان اللسان ، ومثل التسبيح والتهليل وقراءة القرآن ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثال ذلك .
قال : **(وعمل بالأركان)** فجعل العمل يدخل في مسمى الإيمان .
قال : **(بالأركان)** وهذا قد يقال إن فيه إشكال وهو ماذا يقصد بها ؟
فهل يقصد بالأركان الجوارح ؟
فإذا كان كذلك ، فصحيح أن عمل الجوارح من الإيمان لكن يبقى عليه عمل القلب وعمل القلب من أعظم أعمال الإيمان ، ومن ثم يكون كلامه ناقصاً .
هذا إذا فسرنا الأركان بالجوارح فيكون خرج عمل القلب ، ويقصد بعمل القلب كالمحبة والخشية والخوف والانقياد والقبول والاطمئنان والتوكل والخضوع إلى غير ذلك من أعمال القلوب التي هي من أعظم الإيمان .
وإن فسرنا قوله بالأركان أي الأركان الخمسة التي هي أركان الإسلام فالعمل بالأركان الخمسة هو إيمان لكن يبقى بقية الأعمال الأخرى كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذه ليست من الأركان الخمس وهي من الإيمان . **وقلت الكلام السابق تنزلا** ، لأنه يوجد من يقول هذا الكلام ، ومن ينتقد كلام العلماء السابقين بناء على ما عنده من مصطلحات خاصة يحاكم إليها من قبله ؟ وللتخلص من هذه الطريقة ومعرفة الصواب فيها لابد أن تعرف شيئين :
أ ـ السياق الذي قيل فيه هذا الكلام .

ب ـ معرفة هل للقوم اصطلاح معين فيما قالوا أم لا ؟ .
إذا ضبطت هاتين المسالتين أمكن بعد ذلك معرفة هل ممكن أن يُناقشوا فيما قالوا أم لا . ثم نعود الآن ونقول ما هو السياق الذي قيل فيه ما سبق ؟
هم قالوا ذلك في سياق الرد على المرجئة ، الذين يجعلون من ترك الأركان أو بعضها مؤمنا ، فنصوا على الأركان في الرد على أولئك .
ثم العبارات التي قالها المصنف هنا متبع فيها لمن قبله فقد قال بها الرزيان ،وابن بطة في الإبانة وغيرهم . والخلاصة أنه تنصيص متضمن للرد ، وهذه طريقة سلفية في التعريفات .
قوله : **(وعقد بالجنان)** ويقصد بالعقد أي الاعتقادات وهي ما في القلب من عقيدة ، ويسمي بعض السلف عقد الجنان بقول الجنان ، ومحلة في القلب محل التصورات والعلم والفكر ، وهو التصديق بكل ما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام والعلم به ومعرفته لكن معرفة مصحوبة بصدق واطمئنان .
قال : **(يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان)** وهذه مسألة زيادة الإيمان ونقصانه **والناس في هذا مذاهب :**
1 - مذهب السلف : وهو أن الإيمان يزيد وينقص .
2 - قول المرجئة قاطبة : سواء منهم الجهمية والكرامية أو الأشاعرة أو مرجئة الفقهاء ، فكلهم يقولون الإيمان لا يزيد ولا ينقص بل هو شيء واحد ؛ لأن الإيمان عندهم التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص ، وكذا المعرفة والعلم ما عدا بعض المرجئة المعاصرة فإن الإيمان يزيد وينقص عندهم كمذهب السلف.
3 - مذهب الخوارج والمعتزلة : عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه إن نقص فهو كفر ، ولا يمكن أن تقع فيه الزيادة ، إلا أن المعتزلة عندهم تفصيل في مسألة الزيادة ، فهو باعتبار الإيمان لا يزيد ولا ينقص، أما باعتبار المكلف والتكليف يزيد ، فالغني الذي عنده مال التكليف عليه أكثر فيجب عليه الزكاة ، فهو أكثر إيماناً من الفقير الذي لا تجب عليه الزكاة ، فمن هذه الحيثية إيمان هذا أزيد من إيمان ذاك . راجع تحقيق كتاب الإيمان لأبي يعلى ، الحاشية صفحة 397، تحقيق الخلف ، حول هذا الموضوع
وعند هؤلاء الطوائف ما عدا أهل السنة أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتفاضل الناس في الإيما ن، فإيمان أبي بكر كإيمان أي شخص من المؤمنين ، وإيمان الصحابة كإيمان التابعين .
مسألة :

جاء عن مالك أنه يزيد وينقص . راجع التمهيد 9/252 ، والفتاوى لابن تيمية 7/506. وجاء عنه في رواية ابن القاسم أن مالكا قال يزيد وتوقف في النقصان ،
ومشى على هذا القول بعض المالكية ظنا منهم أن الإمام مالكا قاله فقالوا أن الإيمان يزيد ولا ينقص ، وهذا القول ضعيف وهجره السلف وتركوه ، فلا يعول عليه ، ذكر ذلك ابن رجب في "فتح الباري" لما شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري .
مسألة : - ذكر المصنف مسألة وهي " أسباب الزيادة " ، فقال : وهي الطاعة ، وذكر أسباب النقص ، وهي المعصية .
مسألة : الإيمان له أول فهل له نهاية - سقف ينتهي إليه - ؟.
الجواب : له أول وليس له نهاية ، ذكر ذلك الإمام ابن بطة في كتابه الإبانة الصغرى ، في فصل " الإيمان " .
مسألة : في مرجئة الفقهاء وفي الأشاعرة وفي الماتريدية :
مر علينا أنهم لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان ، ولا يسمون الأعمال إيماناً، فماذا يسمونها .
الجواب : يسمونها ثمرات الإيمان ، أو شعائر الإيمان ، أو نتائج الإيمان ، أو دلائل الإيمان ، لكن مهما كان الحال لا يسمونها إيماناً . ولذا يُنتبه فيكون الإنسان على حذر حينما يقرأ بعض كتب العقيدة أو فضائل الأعمال ، فإذا أرادوا أن يذكروا الفضائل قالوا : شعائر الإيمان ، أما السلف يقولون كتاب الإيمان فيذكرون الأعمال .
ثم ذكر المصنف عدة أدلة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ، فذكر ثلاثة أدلة من القرآن ودليلين من السنة .
ثم ذكر في آخر الفصل مسألة تفاضل الإيمان وهو عند السلف يتفاضل ويقع التفاضل على شيئين : أ - الإيمان يتفاضل . ب - المؤمنون يتفاضلون فيه .
فالإيمان بعضه أفضل من بعض ، فالشهادة إيمان وهي أفضل من الصلاة وهكذا، والمؤمنون يتفاضلون ، فالأنبياء أفضل ، وأبو بكر مثلاًأفضل أمة محمد وهكذا ، والصحابة أفضل من التابعين ، وهكذا .
ولذا قال المصنف -لما ذكر الإيمان- (**فجعله متفاضلاً**) .

فصل : الإيمان بالمغيبات

قال المصنف : ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث

الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات .
ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه)
ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل .
وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وأمر به في كل صلاة .
وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور { فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون } ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل { فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا } والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون } ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار .
ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما فيدخلون الجنة بشفاعته ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات قال تعالى { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون } ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .
والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان فالجنة مأوى أوليائه والنار عقاب لأعدائه وأهل الجنة فيها مخلدون { إن

المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون } .

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال ((يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت))

الــشـرح

أما لماذا الحق المصنف هذا الفصل بفصل المغيبات ؟ لأنه مطلوب فيها الايمان ، ونص المصنف على ذلك حينما قال : ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر المصنف حكم الإيمان بالمغيبات وأنه واجب ، وهو أصل من أصول أهل السنة والجماعة .

ثم ذكر المصنف قدر الواجب باعتبار الكمية ، فقال (كل ما أخبر به) فلابد من الإيمان بجميع المغيبات كلها ، لكن على وجه الإجمال ، فلو ترك واحداً منها فقد خرج من الدين .

واشترط المصنف شرطين في هذا الأصل :

الأول : أن تأتي هذه الإخبارات بالمغيبات من جهة الشرع ، ولذا قال بكل ما أخبر به النَّبِيّ [illegible]

[illegible]

60

(120) رواه البخاري في صحيحه 2/717 (ح 1934) ، ومسلم في صحيحه 4/1712 (ح 2174).

(121) أخرجه البخاري في صحيحه 3/2433 (ح 6221) ، ومسلم في صحيحه 4/2036 (ح 2643).

صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين لما روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي [أفضل هذه الأمة بعد نبيها] أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره .

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث .

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر)) .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)) .

وقال صلى الله عليه وسلم ((الخلافة من بعدي ثلاثون سنة)) فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه .
ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ((أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)) .
وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم شهدنا له بها كقوله ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)) وقوله لثابت بن قيس ((إنه من أهل الجنة))

الــشـرح

هذا الفصل يتحدث عن خصائص الرسول وصفاته ، ويتحدث تبعاً لذلك عن فضائل أمة الرسول [illegible]
[illegible] :
- [illegible] .
- [illegible] .
- [illegible] .
[illegible]
[illegible] .
صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام)
وهي كالتالي:
1 - ذكر المصنف أول صفة من صفات الرسول فقال (**رسول اللّه**) وقبل وصفه بالرسالة بدأ بذكر اسمه فذكر اسم محمد ، وهذا أشهر أسماء الرسول ، قال تعالى : { **محمد رسول اللّه** }[122] ، وجاء في القرآن تسميته بأحمد ، قال تعالى : {**ومبشراً برسول من بعدي اسمه أحمد**}[123] ، ووردت أسماء للرسول ، في السنة كثيرة .
2 - ثم ذكر صفة ثانية للرسول ، فقال : (**وخاتم النبيين**) ومعنى خاتم النبيين أي آخر النبيين ، فليس بعده نبي ، أما نزول عيسى

---

(122) الفتح : 29 .
(123) الصف : 6 .

في آخر الزمان في عصر المهدي فليس معنى ذلك أن عيسى ينقض مسالة ختم الرسالة والنبوة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

3 - ثم ذكر صفة من صفات الرسول وهي في نفس الوقت من فضائله ، فقال (**سيد المرسلين**) ، فوصفه بالسيادة ، وتعني الشرف وأنه مقدمهم وكبيرهم، وقيد السيادة هنا فقال (**سيد المرسلين**) والسيادة إذا قيدت جاز إطلاقها ، فيقال : "سيد المرسلين" ، و"سيد بني آدم" ، و "سيد الأنصار" ، وقد جاء في الحديث عند أبي داود من قوله عليه السلام : " السيد اللّه "[124]، أي على وجه الكمال والإطلاق.

4 - ثم ذكر صفة من صفاته وهي من فضائله وخصائصه وهي أنه صاحب الشفاعة العظمى وذكرها مرة أخرى وقال صاحب المقام المحمود ، ويقصد به الشفاعة العظمى .

5 - ثم وصفه بأنه صاحب لواء الحمد ويقصد بذلك أنه يحمد اللَّه محامد عظيمة قبل أن يؤذن له بالشفاعة العظمى .

6 - ثم وصفه بأنه صاحب الحوض وهذه ليست من خصائص الرسول بل من صفاته ، فإن كل نبي له حوض ، ولكن حوض النَّبِيّ عليه السلام أعظمها وأشرفها، وأكبرها، وقوله (**المورود**) أي يرده المؤمنون من هذه الأمة ، وزمن الورود في عرصات القيامة في أرض الموقف والمحشر .

7 - ثم قال (**إمام النبيين**) وقد أمّهم عليهم السلام في ليلة الإسراء والمعراج.

9 - ومن صفاته وأيضاً من الخصائص ، قال (**وخطيبهم**) والضمير يعود على الأنبياء .

هذه بعض صفات الرسول [illegible]

[illegible] .

[illegible] :

[illegible] : (**[illegible]**) [illegible] .

[illegible] : [illegible] :

[illegible] :

[illegible]

[124] () أخرجه أبو داود في سننه 4/254 (ح 4806) ، وأحمد في مسنده 4/24 (ح 16350) .

[illegible]

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث .

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر)) .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)) .

وقال صلى الله عليه وسلم ((الخلافة من بعدي ثلاثون سنة)) فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه .

---

(125) الترمذي 5/226 (ح 3001) ، وابن ماجة 2/1433 (ح 4287) ، (ح 4288).

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ((أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)) .

فأفضل هذه الأمة بعد الرسول عليه السلام هو أبو بكر ، قال المصنف : (**وأفضل أمته أبو بكر الصديق**) وهذا بالإجماع .

الثاني عمر بن الخطاب ، ووصفه بأنه (الفاروق) وهذا الوصف نبوي ، وصفه الرسول عليه السلام ، كما أن وصف أبو بكر الصديق نبوي .

ثم عثمان ، أما تفضيل أبو بكر وعمر هذا بالإجماع ، وأما عثمان فهذا بإجماع المهاجرين والأنصار حيث قدموا عثمان على علي بالخلافة ، ولم يختلف الصحابة بأن عثمان هو الشخص الثالث في الفضل بعد أبي بكر وعمر ، لكن في عصر التابعين اختلفوا ، فهناك بعض السلف وهم قلة ، قدموا علياً ، لكنهم رجعوا عن ذلك فيما بعد ، وبعض السلف توقف فلم يفضل أحداً على أحد ، ، لكن استقر مذهب التابعين فيما بعد على تفضيل عثمان على علي ثم هجر القول بأفضلية علي وكذلك التوقف وأصبح من الأصول تقديم عثمان على علي في الخلافة والفضل .

ثم وصف المصنف عثمان بذي النورين وهذه الصفة والله أعلم جاءت في عصر التابعين ، فقد نقل اللالكائي بسنده عن حسين الجعفي أنه قال : أتدري لماذا سموا عثمان بذي النورين ، قال لأنه ما من أحد نكح ابنتي نبي من لدن آدم حتى محمد عليه السلام غير عثمان ، فيكون سبب التسمية ؛ لأنه تزوج بنتي رسول اللّه.

ثم بالأفضلية علي رضي اللّه عنه ، وسماه المصنف (**المرتضى**) أما سبب التسمية والله أعلم أنها مأخوذة من الحديث الصحيح في البخاري ، أن النَّبِيّ [illegible] : " [illegible] [illegible] : " [illegible] "[126] [illegible] : " [illegible] " .

[illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible]

([illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible] .

---

[126] () رواه البخاري في صحيحه 3/1359 (ح 3503) ، وأحمد في مسنده 1/173 (ح 1490).

[127] الترمذي 4/503 (ح 2226) ، وأحمد 5/220 (ح 21969) .

(128) التوبة : 117 .
(129) الحديد : 10 .
(130) الحشر : 8-10 .
(131) رواه الترمذي في سننه 5/694 ، (ح 3858) .

[illegible]

ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل .

الــشـرح

بعد أن انتهى المصنف من الشهادة لأهل الفضل والثناء أنهم من أهل الجنة ، انتقل فقال: هل يشهد لأحد غيرهم بجنة أو نار ؟

---

[132]() رواه البخاري في صحيحه 1/460 (ح 1301) ، ومسلم في صحيحه 2/655 (ح 949) ، والترمذي في سننه 3/373 (ح 1058).

الجواب : أن غير السابقين مما ذكر ، كالمسلم العادي الذي لم ينتشر فضله ، فهذا لا يشهد له بالجنة ، لكن يُرجى له الجنة ، وكذا لا يُشهد لأحد منهم بنار، وإنما يخاف على المسيء من النار ، فجعل الأمر دائر بين الرجاء للمحسن والخوف على المسيء

وقول المصنف (**ولا نجزم**) نفى الجزم ، وقوله (نجزم) ولم يقل لا أجزم بالإفراد لأنه أراد باللفظ أهل السنة ، وقوله (**من أهل القبلة**) يُقصد بأهل القبلة هو من أتى بالتوحيد (**شهادة أن لا إله إلا اللّه**) ولم يأتِ بناقض ، هذا تعريف أهل القبلة شرعاً ، ويشترط شرطان :

أ - أن يأتي بالشهادتين ، وهذا شرط إيجابي .

ب - أن لا يأتي بناقض من نواقض الإسلام وهذا شرط سلبي .

فإذا لم يأت بالتوحيد فليس من أهل القبلة ، وإن أتى بالتوحيد وأتى بناقض فليس من أهل القبلة ، أما الذين ليسوا من أهل القبلة كالجهمية ، فهؤلاء عندهم ناقض وهو إنكارهم للأسماء والصفات ، وغيره من المكفرات التي عندهم .

ومثل الرافضة اليوم فهم ليسوا من أهل القبلة لوجود نواقض فيهم، وكالعلمانيين والحكام المرتدين في وقتنا ممن يدعي الإسلام فهم ليسوا من أهل القبلة لوجود ناقض ، ويشمل الحداثين والقوميين والبعثيين والديمقراطيين والاشتراكيين وغيرهم من الطوائف الأخرى الذين ليسوا من أهل القبلة ، وفائدة ذلك أن من مات من هؤلاء الطوائف على ذلك لا يدخل في هذه المسألة ، ولا يقال لا نشهد له بالنار ، ويدل على ذلك أن من مات من المرتدين يشهد له بالنار .

ويدل لذلك حديث بني المنتفق وهو حديث صحيح ، فأتوا النَّبِيّ عليه السلام وسألوه في حديث طويل عمن مات من أهل الفترة فقال النَّبِيّ عليه السلام : " لعمر اللّه ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل : أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار "[133] ، قال ابن القيم في (الهدى) من فوائد الحديث أنه يُشهد على من مات على الشرك بالنار .

2 - قصة المرتدين ، فإنهم لما تابوا وطلبوا الصلح من أبي بكر شرط عليهم شرط ، وقال حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار " [134]، والشاهد قوله: " وقتلاكم في النار " ، فدل على أنه يجوز الشهادة على المرتد إذا مات على الردة بالنار.

---

[133]() مسند الإمام أحمد 4/13 (16251) .

[134]() رواه أحمد في مسنده 1/387 (ح 2609) .

ثم تطرق المصنف إلى مسألة التكفير وهل يكفّر أحد من أهل القبلة أم لا يكفر.
قال المصنف : (**ولا نكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل**) .
تكلم المصنف عن حكم تكفير أهل القبلة ، وفيه مسائل :
المسألة الأولى : ما المقصود بكلمة "بذنب" ، وكلمة "بعمل" هاتان الكلمتان قد تفهم خطأ ، وقد تفهم أحياناً على وجه التعميم ، فيظن أن كلامه عام وليس كذلك ، فيقصد "بذنب" أي المعاصي، التي تسمى الكبائر ، ومثله كلمة" بعمل" فإنها تطلق على ثلاثة أشياء :
أ - على الكبائر : كالسرقة والزنا والغيبة والنميمة واللواط وما شابه ذلك فهذا لا يكفر به أهل السنة والجماعة .
ب - الشرك الأصغر ، فهذا أيضاً يدخل ضمن كلام المصنف فلا يكفر بالشرك الأصغر .
جـ - الصغائر وهي ما جاء تحريمها بالشرع ولم يرد فيها وعيد خاص ، فهذه لا يكفر بها أهل السنة والجماعة .
وهناك ذنوب لم يقصدها المصنف هنا كالشرك الأكبر والكفر الأكبر ، فهذه يكفر فيها أهل السنة والجماعة ، سواء كان كفراً أكبر اعتقادي أو عملي أو قولي.
وقول المصنف (**بعمل**) يراد به عمل المعاصي .
المسألة الثانية : قول المصنف (أهل القبلة) ما القصود بهم :
يقصد أهل القبلة طوائف :
أ - السابقون .
ب - المقتصدون .
وهذان القسمان هم أهل المدح والثناء وهم أهل الجنان ، قال تعالى: {**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن اللّه**}[135] وهؤلاء لا يكفرون.
جـ - الظالم لنفسه ، وهم أهل التوحيد الذي فعل شيء من المعاصي ومات عليها، أو مصراً عليها ، ويشترط في هؤلاء حتى يسموا أهل القبلة ، أن يأتوا بالتوحيد ، وأن لا يأتوا بناقض من نواقض الإسلام .
د - المبتدعة : أو الذين فيهم بدعة ، بشرط أن تكون بدعتهم غير مكفرة ، كالذين يحيون ليلة النصف من شعبان وكتقديم الخطبة على الصلاة في العيد ، وترك بعضهم للتكبير علناً ، وكتأخير الصلاة لآخر وقتها الضروري ، ومثل الكلابية ومثل متقدمي الأشاعرة كأبي

---

[135] سورة فاطر : 32 .

الحسن الأشعري والباقلاني ، ومثل الكرامية فإنهم مبتدعة ومثل الخوارج الأولى ويسمون المحكّمة ، فهؤلاء مبتدعة وليسوا كفاراً . ومثل مرجئة الفقهاء ، هذه الطوائف هي التي تسمى أهل القبلة .

المسألة الثالثة : أهل القبلة ينقسمون إلى قسمين :

أ - أهل القبلة بالحقيقة ، بمعنى أنه يجوز إطلاق هذا الاسم عليهم ، وهم الطوائف السابقة .

ب - أهل قبلة بالادعاء والانتساب أو لمجرد التعريف ، أو باعتبار ما قبل التكفير ، وهو كل من انتسب إلى القبلة وقد قام به مكفر ، فتسميته بأهل القبلة زور وبهتان . ولا يجوز إطلاق هذا الاسم عليه.

وهذا القسم لم يرده المصنف ، وهم طوائف يتسمون بأهل القبلة وهم كفار ، وهم كالتالي : الجهمية ، وغلاة المعتزلة : فهؤلاء على الصحيح كفار .

الرافضة : وهم ليسوا من أهل القبلة على الحقيقة وهم كفار ، علماؤهم وعوامهم

عباد القبور : وهؤلاء مشركون بالإجماع وليسوا بمسلمين ، نقل تكفيرهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في نواقض الإسلام - الناقض الثاني - ، وقبله نقله ابن تيمية كما في كشاف القناع ، أن من جعل بينه وبين اللّه وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعاً .

الصوفية الذين عندهم كفريات ، كالاستغاثة بالأولياء ونحو ذلك ، فهؤلاء مشركون وإن تسموا بأهل القبلة .

العلمانيين : بجميع أصنافهم ، فإنهم كفار وإن تسموا بالإسلام ، أو قالوا نحن دولة إسلامية وحكام مسلمين ، وهم في حقيقة الأمر علمانيون كفار .

وأصناف العلمانيين مثل : الحداثيين والديمقراطيين والبرلمانيين والبعثيين والقوميين ، والشيوعيين والاشتراكيين ، فهؤلاء كلهم كفار سواء كانوا كتّاباً أو صحفيين أو سياسيين أو إعلاميين أو مثقفين أو عسكريين ، أو اقتصاديين إلخ.

ومنهم من يتسمى بالإسلاميين وقد قام بهم مكفر كالإسلاميين الذين يبيحون التشريع لغير اللّه أو الذين يتحالفون مع العلمانيين ، ويستلزم من تحالفهم مع العلمانيين أن يفعلوا كفرا عالمين به فهؤلاء كفار وإن ادعوا أنهم إسلاميون .

ومن هذه الطائفة صنف يسمى العصرانيين ، وهم الذين يدعون تطوير الشريعة لكي تواكب العصر ، أو تطوير أصول الفقه لكي يواكب العصر ، وأمثالهم ممن يفعل مكفرا من هؤلاء .

فصل

قال المصنف : ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام برا كان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفهم جائزة . قال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ((ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار)) رواه أبوداود.

الشرح :

ثم تكلم المصنف عن **مسائل الإمامة** وما يتعلق بها .
وهي مسائل تتعلق بالموقف تجاه الأئمة والحكام وماذا يجب لهم .
قال المصنف (**ونرى)** ولم يقل (وأرى) وإنما عبر بقوله (نرى) وفاعل(نرى) جماعة والسبب لأن المصنف يتكلم عن مذهب أهل السنة والجماعة ، مثل ما قال قبله (ونشهد) وقال (ولا نجزم) مما يدل على أنه ينقل اعتقاد أهل السنة والجماعة في مسألة الواجب للأئمة .
وذكر المصنف ثلاث شعائر : الحج ، والجهاد ، والجمعة . على أن هذه الشعائر الثلاث تفعل مع الأئمة ولا يخالفون فيها ويتعاون معهم عليها ، وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه المسالة ينبغي أن نعرف من هم الأئمة المقصودون هنا ؟.
الجواب : الأئمة ينقسمون ثلاثة أقسام :
1 - أئمة العدل : فهؤلاء يجب إقامة الحج والجهاد والجمعة معهم ، وغيرها من الشعائر الأخرى .
2 - الأئمة الفساق : وهم على قسمين :
أ - أئمة فساق فسق متعدي : وهم ما يسمون أئمة الجور والظلم ، فيظلمون الناس في أموالهم وأعراضهم ويجورون في الأحكام لكنهم مسلمون ، لم يخرجوا بهذا الظلم والجور عن الإسلام .
ب - أئمة فسق غير متعدي : مثل الأئمة الذين يشربون الخمر ويزنون ويأكلون الربا ، وهؤلاء أحسن حال أئمة الجور وكلا الصنفين يقام معهم الحج والجهاد والجمعة .
3 - الأئمة الكفار والعلمانيين والأئمة المرتدين : فهؤلاء ليس لهم شيء من هذه الحقوق ، أما صلاة الجمعة فلا تجوز الصلاة خلفهم ، وإذا أجبروا الناس بالصلاة خلفهم ، صلوا وأعادوا صلاتهم ، وكذا لا يصل خلفهم العيد ولا بقية الصلوات ، كالكسوف وغيرها ومثله صلاة الفريضة ، فلا يصل خلفهم ، وأما الجهاد ، فالواجب أن

يجاهدوهم ، ويجب على أهل الحل والعقد وعلماء المسلمين أن يجاهدوهم ويقاتلوهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فإن لم يستطيعوا وجب تكفيرهم واعتقاد كفرهم وعدم إمامتهم وعدم الذب عنهم ويصبر حتى يأتي اللّه بالفرج ،(للتفريق بين الأسماء والأحكام) ولكن لو قام الجهاد (جهاد الدفاع ، أي دفع الصائل) ورفعوا رايته ، كما لو صالت دولة على دولة شعبها مسلم وحاكمها كافر ثم أعلن هذا الحاكم الكافر الجهاد ضد الصائل ، فهنا لا مانع من الجهاد معه ضد الصائل ، كما قال عليه السلام : " إن اللّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر "[136]. فهناك يقاتل مع المسلمين ولو كان الحاكم كافرا ما دام إن المصلحة للمسلمين للدفع عنهم ،
وقد تحالف الرسول أول ما جاء للمدينة مع اليهود على أن يشتركوا بالدفاع عن المدينة ، مع أن اليهود كفار ، ومثله حلف الفضول فقد اشترك الرسول قبل البعثة مع الكفار في نصرة المظلوم ويأتي بسط أكثر لهذه المسالة بعد أسطر إن شاء الله .
وأما الحج ، فلو أقام الحاكم الكافر الحج فإنه يُحج معه .
وقول المصنف (**ونرى الحج**) ثم قال (**ماضياً**) بمعنى أنه لا يُترك الحج من أجل كفر الحاكم ، أو يُهجر الحج أو تهجر مكة لأن الإمام كافر ، والسبب أن الحج فرض واجب ، فلا يجوز تركه من أجل كفر الحاكم هذا الأول .
الدليل الثاني : حج أبي بكر ، لما حج قبل السنة العاشرة مع الناس وفيهم كفار ، الدليل الثالث : وكان الصحابة يحجون قبل الفتح إلى مكة ويعتمرون مع أن الحكم في مكة للكفار، فلم يمنع عمل هذه الشعيرة وإن كان هناك كفار .
الرابع : قوله تعالى : { **ومن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** } ، فسبب نزول الآية أن الصحابة تحرجوا أن يطوفوا بالمسعى لأنه فيها أوثان في ذلك الوقت ، فنزلت هذه الآية لنفي الحرج أن يؤدوا السعي وإن كان فيها أوثان وشرك .
ولم يذكر المصنف العمرة لأنها تختلف ، فليس لها وقت معين كالحج وإنما هي راجعة للشخص ، متى شاء اعتمر .
وقوله (**والجهاد ماضياً**) لابد من قيد في الجهاد ، فيقصد به الجهاد الشرعي ، هذا هو الماضي مع الأئمة ويشترك فيه أهل السنة جنوداً ، وهو إما جهاد هجومي لمقاصد إسلامية ، أو جهاد للدفاع عن أنفسهم وحرمتهم . وضده الجهاد الدنيوي ، وهو أن يقاتل الإمام من أجل إدخال بعض البلاد في حوزته وملكه ظلماً ، أو كجهاد المسلمين ظلماً ، أو يجاهد حمية ، أو يجاهد لنصرة كفار ،

---

[136]() رواه البخاري في صحيحه 3/1114 (ح 2897) ، ومسلم 1/105 (ح 111) .

فكل هذه الأنواع الدنيوية ، لا يجوز إعانة الإمام عليها سواء كان مسلماً أو كافراً ، جائراً أو فاسقاً.
وقوله (**وصلاة الجمعة خلفهم جائزة**) قوله : خلفهم ؛ لأنهم كان من عادة الحكام أن يكونوا أئمة صلاة الجمعة ، وهذه العادة اختلفت في هذا الوقت ، فالآن نادراً ما يكون إماماً ، وينتقل الحكم إلى نوابه أي من عينهم ليصلوا بالناس.
وقول المصنف (**جائزة**) أراد أن الصلاة خلفهم صحيحة وتجوز ، والجواز هو أحد الأحكام الخمسة ، أي فليس بواجب ولا مستحب ، لكنه مباح ، وكل مباح يفيد أنه ليس محرما ولا مكروها ، وهذا إذا لم يأمر أو يعاقب أو يتضمن مفسدة أكثر، أما إذا عاقب أو تضمن مفسدة ، فيكون إما واجب أو مستحب ، فيختلف الحكم.
ويقاس على الجمعة الصلوات الباقية كالعيدين والكسوف والاستسقاء والفرائض، وهذا أيضاً إذا كان المسجد واحدا ، أما إذا تعددت المساجد ، مثل أن يكون بالمدينة مسجدان للجمعة ، فالسنة أن يصلي مع الإمام العادل إذا لم يكن هناك مشقة .
وقد صلى بعض الصحابة كابن عمر خلف الحجاج وصلى ابن مسعود خلف عقبة .
وقول المصنف (**براً كان أو فاجراً**) البر معروف وهو العدل ، وأما الفجور فماذا يقصد به المصنف ؟ يحتمل أنه يقصد الظلم والجور أو يقصد الفسق، وهذا صحيح.
بقي لو كان الفجور فجور كفر وردة فهنا فيه تفصيل ، أشياء تفعل معه وأشياء لا تفعل معه ، فأما الحج فيفعل معه ، وأما الجهاد فعلى التفصيل السابق ، فيفرق بين الجهاد الهجومي والجهاد الدفاعي ، وبين الجهاد الشرعي والجهاد الدنيوي على ما سبق لما تكلمنا عن الأئمة الكفار .
وأما الشيء الذي لا يجوز أن يُفعل معهم فهي الصلاة ، فلا يجوز أن يصلى خلفهم ، فإن كان يضرب الناس ويقهرهم عليها ، صلوا معه وأعادوها ، والدليل على ذلك فعل السلف مع الأئمة لما كانوا جهمية فإنهم كانوا يعيدون الصلاة ويصلون قبل أن يأتوا إليهم.
ونقل ابن سحمان عن شيخه عبد اللطيف مقررا له (نقل اتفاق أهل العلم على تكفير الجهمية واتفاقهم أيضا على أن الصلاة لاتصح خلف كافر جهمي ، ثم قالا وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها وبين من لاشعور له بذلك وهذا القول يميل إليه شيخ الإسلام في المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس) كشف الشبهتين ص 20-21-65-66-97 ، ثم قاس على الجهمية فقال وقد يفعله المؤمن مع غيرهم من المرتدين إذا كان لهم شوكة ودولة والنصوص في ذلك معروفة مشهورة اهـ 0

والمصنف اقتصر على ثلاث شعائر وبقي شعائر أخرى كإقامة الحدود وإقامة الثغور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
والجواب : أن المصنف لم يرد الاستيعاب ، وإلا حكم هذه الأمور حكم الجهاد والحج ، ولم يذكر المصنف أيضاً الصيام ، أما الصيام فقد جاء في الحديث : "الصوم يوم تصومون" [137]، فيقال : إذا كان الإمام يهتم بالصيام ويعتمد على الرؤية الشرعية فيقام معه ويُفطر معه براً كان أو فاجراً مسلماً أو كافراً ، وإن كان لا يهتم بالطرق الشرعية وإنما بالحساب فهنا يتحرى الإنسان بالطرق الشرعية ولا يتبعه إلّاإن خشي على نفسه من ضرب أو سجن ، فيصوم ويفطر سراً , فإن تعذر عليه الطرق الشرعية جاز أن يبتدأ وينتهي معهم من أجل ضرورة إقامة هذه الشعيرة .
بالنسبة للزكاة ، فإن كان الأئمة أهل عدل تدفع لهم الزكاة وإن كانوا أئمة جور ويصرفونها في غير مصارفها ، فيجوز (ولاحظ كلمة يجوز) دفعها لهم كما كان ابن عمر يدفع زكاته إلى أئمة الجور وهذا إن طلبوها منه ، ولكن لا يتقصدهم ويذهب إليهم.
وأما إن كانوا كفاراً فلا يجوز الدفع إليهم إلّاإن خشي على نفسه ويتحيل على أن لا يدفع إليهم شيئاً .
ثم ذكر المصنف الدليل على هذه المسألة وهو حديث أنس مرفوعاً قال : "ثلاث من أهل الإيمان ، ثم قال : والجهاد ماضٍ منذ بعثني اللَّه عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جورُ جائر ، ولا عدل عادل " [138] رواه أبو داود .

قضايا معاصرة :
سبق أن ذكر المصنف أن مذهب أهل السنة والجماعة الجهاد مع الأئمة المسلمين سواء كانوا أبراراً أو فجاراً ، هذه مسألة يتبعها قضايا معاصرة ، وهي كالتالي :
1 - ما الحكم لو كان جزء من الجيش فجارا أو مبتدعة فهل يشترك معهم في الجهاد ؟
الجواب : نعم ؛ لأن قول المصنف ونرى الجهاد مع كل بر وفاجر فإنه يشمل سواء كان الفاجر هو الإمام أو قائد الجيش أو كان الفاجر متبوعاً ، وهم بعض الجيش ، ولذا لو قام الجهاد الإسلامي (ولاحظ قيد إسلامي) ، وكانت القيادة فاجرة أو أفراد الجيش فساقاً أو فجاراً فلا مانع من الجهاد معهم ويدل عليه غزوة حنين

---

[137] () رواه الترمذي في سننه 3/80 (ح 697) ، والدارقطني في سننه 2/164 (ح 35).
[138] () رواه أبو داود 3/18 (ح 2532) .

حيث خرج مع النَّبِيّ عليه السلام اثنا عشر ألف ، منهم ألفان من مسلمة الفتح ، لم يمض على إسلامهم سوى شهرين حتى إن بعضهم قال : " اجعل لنا ذات أنواط " [139].

ويدل عليه أيضاً : أن في بعض غزوات النَّبِيّ عليه السلام كان يشترك معهم فجار، كالغزوة التي اشترك فيها رجل ثم قتل نفسه .

وكذا في غزوة أحد التي شارك فيها المنافقون ، ولكن إذا شارك معنا فجار أو فسقة أو مبتدعة فيجب نصحهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ردّ المخذل منهم والمثبط وكبته والحذر منه . مع التنبيه أنه لو طلب كفار (وهم ضعفاء مخذولون على شكل أفراد) فلا يجوز تمكينهم من الجهاد معنا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (فكيف بالجماعات والدول ؟ ؟) ، لقوله عليه الصلاة والسلام : " ارجع فلن نستعين بمشرك " [140]، رواه مسلم.

2 - قوله (**ونرى الجهاد مع الفجار**) هناك فرق بين كون الإمام فاجراً وبين كون الراية فاجرة ، بينهما فرق عظيم ، فإذا كان الإمام فاجراً بمعنى أنه لم يأت بالمكفر ، لكن يجاهد جهاداً شرعياً ، أو لمقاصد شرعية ، هذا هو المقصود ، أن يجاهد معه .

أما لو كانت الراية فاجرة بمعنى أن هدف القتال دنيوي أو لإغراض غير شرعية فهنا لا يقاتل معهم ، ما دامت الراية فاجرة ، بل ولو فرضنا جدلا أن الإمام عادل ورايته فاجرة لم يجاهد معه .

3 - لو قام جماعة بمجاهدة العلمانيين وجب على أهل السنة مساعدتهم ولو كانت هذه الجماعة من المبتدعة أو الفساق أو قاموا بمجاهدة الحكومة الكافرة، وجب علينا إعانتهم بما نستطيع من قول أو فعل . وفي وقت مجاهدتهم للعلمانيين وللحكام الكفار نكف عن مهاجمة المبتدعة أو الفساق لأن هذا الوقت يحتاج إلى اجتماع ومساعدة والكف عنهم نصرة نوعاً ما ومهاجمتهم خذلان نوعاً ما ، ولا يعني ذلك أننا لا نراهم مبتدعة أو ضُلّال ، بل هم أهل ضلال ومبتدعة ، ووقت الأمن نتكلم عن بدعهم ، لكن إذا انتصبوا للجهاد وجب مساعدتهم ، وهذا كله داخل في قول المصنف (**ونرى الجهاد مع كل بر وفاجر**) .

---

[139] () رواه الترمذي في سننه 4/475 (ح 2180) ، وأحمد في مسنده 5/218 (ح 21947).

[140] () رواه مسلم في صحيحه 3/1449 (ح 1817) ، والترمذي في سننه 4/127 (ح 1558).

فصـــل

قال المصنف : ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى { والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا } وقال تعالى { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم } وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لاتسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)

الــشـرح :

ثم انتقل المصنف بعد ذلك إلى مسألة موالاة الصحابة وفيها مسائل :

الأولى : قوله : (**ومن السنة**) أراد بالسنة ما يضاد البدعة ولم يرد السنة الاصطلاحية التي هي بمعنى ما يثاب فاعله امتثالاً ولا يعاقب تاركه ، وإنما أراد أنها هي طريقة أهل السنة والجماعة .

الثانية : قوله : (**تولي أصحاب رسول اللَّه ﷺ**) [illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible] – [illegible] .

[illegible] – [illegible] .

[illegible] – [illegible] .

[illegible] : ([illegible]) .

[illegible] : [illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible].

[illegible] : [illegible] (**[illegible]**

[illegible]

[illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible] .

(141) الحشر : 11 .

(142) الفتح : 29 .

(143) أخرجه البخاري 5/695 (ح 3861) ، ومسلم 4/1967 (ح 2540) .

(144) مستدرك الحاكم 3/732 (ح 6656) .

الـشـرح

ثم تكلم المصنف عن موالاة أزواج النَّبِيّ عليه الصلاة والسلام ، وفيه مسائل:

الأولى : قوله (ومن السنة) :

وهذه يقصد بها طريقة السلف ، فمن خالف فيها فهو مبتدع ، أما الواجب لزوجات النَّبِيّ

ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين .

الـشـرح :

ثم انتقل المصنف إلى ما يجب للأئمة والولاة ، وفيه مسائل :

الأولى : أن هذا حكم في ولاة المسلمين :

أما إن كان الحكام كفاراً أو مرتدين أو علمانيين ، فإنه لم يقصدهم المصنف . وقد مر علينا أن الحاكم الكافر والعلماني يجب الخروج عليه مع القدرة على ذلك وعدم المفسدة إن وجد جيش يغلب على الظن الإطاحة به .

ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت قال : " بايعنا رسول اللَّه على السمع والطاعة ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلاّأن تروا كفراً بواحاً " [145] .

هذا منطوق الحديث ، ومفهوم المخالفة في الحديث أنه إذا رأينا كفراً بواحاً فلا سمع ولا طاعة ، بل ننازعهم على الأمر فهم ليسوا أهله .

وقد نقل القاضي عياض الإجماع على وجوب الخروج على الحاكم الكافر ولا سمع له ولا طاعة ، نقله أبو يعلى والماوردي في الأحكام السلطانية والنووي في شرح مسلم وابن حجر في فتح الباري .

ولذا المصنف قال ولأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين ، وذكره لهذين الوصفين يخرج الأئمة الكفار ، والعلمانيين والملاحدة وأمثالهم ، سواء كانوا كفاراً أصليين أو طرأ عليهم الكفر .

الثاني : ما هو الواجب للأئمة الشرعيين :

ذكر المصنف أربعة أشياء : فأوجب شيئين وحرم شيئين :

فالواجبان:

1 – السمع .

2 ـ - الطاعة .

أما المحرمان :

1 - الخروج عليهم .

2 – مخالفتهم .

---

[145] () أخرجه البخاري 6/2588 (ح 6647) ، ومسلم 3/470 (ح 1709).

وقول المصنف برهم وفاجرهم ، أما البر فهو معروف ، وأما الفاجر فيقصد به من أتى بالكبائر والمعاصي ، سواء كانت قاصرة عليه أو متعدية إلى غيره بشرط أن لا يأتي بمكفر ، فإن كان فجوره فجور كفر ، فهذا لا يدخل لأنه قال : الأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين . والمصنف هنا عرّف من هو إمام المسلمين أو أمير المؤمنين ، ومن هو الذي يسمى خليفة ، فقال : ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه ، حتى صار خليفة ، فأصبح الخلفاء على قسمين :

أ - من تولى الخلافة والإمامة عن اختيار من الناس ورضا ، ويقصد بالاختيار اختيار أهل الحل والعقد ، وهذا أفضل الخلفاء .

ب - من تولى الخلافة بالقوة والسيف حتى غلب على الناس ، ويسمى إمام الغلبة ، فهذا أيضاً يعترف له بالخلافة إذا استقر له الأمر .

فصل

قال المصنف :

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة في الدين .

وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها .

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم فإن الاختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة .

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين .

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الــشـرح

ثم بعد ذلك ذكر المصنف الموقف من أهل البدع ومسألة الانتساب والتسمي والانتماء

فالكلام الأول : في الموقف من أهل البدع .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : تعريف أهل البدع :

يقصد بأهل البدع هو كل من التزم عقائد تخالف عقائد أهل السنة والجماعة ، ويقصد بالعقائد ما هو مخالفه لأصول أهل السنة والجماعة كأمثال المعتزلة والرافضة والأشاعرة والمرجئة إلخ .

فذكر منهم المصنف ثماني طوائف من أهل البدع ، هم كالتالي حسب ذكر المصنف لهم :

1 - الرافضة 2 - الجهمية 3 - الخوارج 4 - القدرية 5 - المرجئة 6 ـ المعتزلة . 7 - الكرامية . 8 - الكلابية .

ونذكر من الطوائف المبتدعة اليوم على التفاوت بينهم في التكفير وعدمه منهم الزيدية والبهايئة والنصيرية والدرزية والقاديانية والبابية والباطنية الإسماعيلية والتيجانية والمرجئة المعاصرة والعصرانيين والانهزاميين وجماعة التبليغ والأخوان المسلمين أهل التحالف مع الحكومات والعلمانيين وحزب التحرير الإسلامي والخوارج المعاصرة الذين يكفرون بالعموم بدون استثناء ويجعلون الأصل اليوم فيمن يظهر الإسلام الكفر أو التوقف .

والملفت للنظر أن المصنف لم يذكر الأشاعرة مع أنهم مبتدعة معاصرون له .

وكذا الماتريدية مع أنهم معاصرون له ، ويضاف إلى هذه الأصناف الطوائف المبتدعة المعاصرة التي على أصل يخالف أصول أهل السنة .

المسألة الثانية : هناك فرق بين قولنا مبتدع ورجل فيه بدعة :

أما الرجل المبتدع فهو من التزم عقيدة من عقائد أهل البدع مما يخالف أصول أهل السنة ، أما من يقال فيه بدعة ، فهو من أهل السنة والجماعة في الأصول وعقائده هي عقائد أهل السنة والجماعة ، لكن تلبس ببدعة ، مثل إحياء ليلة النصف من شعبان ، ومثل بدع بني أمية كتقديم خطبة العيد على الصلاة أو التزام تأخير الصلاة لآخر وقتها ، ومثل ابتداع أذكار معينة وأمثال ذلك ، ومثل من عطل صفة من صفات الله دون التزام بأصل التعطيل في الصفات أو بعضها ، فهؤلاء لا يسمون مبتدعة، وإنما يقال من أهل السنة وفيهم بدعة ، وهذا الصنف الأخير لا يقصد المصنف هنا ، ولا ينزل عليه كلام أهل السنة إذا تحدثوا عن أهل البدع .

المسألة الثالثة : ما هو الموقف من أهل البدع ؟

المصنف ذكر موقفين : موقف يتعلق بالكلام ، وموقف يتعلق بالسكنى والمخالطة .

أما الموقف الأول ، فقال (**ومن السنة هجران أهل البدع**)

ويقصد بالهجران ترك كلامهم والسلام عليهم وتهنئتهم ، وكل كلام يدل على السرور والمحبة ونحو ذلك .

أما الكلام الدنيوي البحت ، كما لو عقد معه بيع أو شراء أو أراد استرجاع حق له عليهم ، مثل وديعة له على مبتدع أو قرض فكلّم المبتدع لأخذ حقه فلا مانع . فقد توفي الرسول [illegible]

[illegible]

() [146] آل عمران : 105 .

() [147] آل عمران : 103 .

() [148] الأنعام : 159 .

[illegible]

[illegible] "[149] .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

فقوله : إنه رحمة أي توسعة على أمة محمد بمعنى أنه من اتبع أحداً من العلماء المجتهدين المعتبرين لا يعنف ، وبمعنى أن الناس لا يلزمون اتباع مجتهد واحد ، ويقصد بالناس العوام وكل من ليس له أهلية الاجتهاد وسائر الناس.

ومن معانيها أيضاً أن الإنسان لو اتبع إماماً مجتهداً معتبراً وقول هذا الإمام باعتبار الواقع خطأ فإنه معذور في ذلك وهذه من الرحمة ، لكن الاختلاف إن جر إلى تحزب وتعصب وجر إلى تظلم وتعدي أحدهم على الآخر فهذا ليس رحمة وإنما نقمة وذنب.

قوله : (**نسأل اللّه أن يعصمنا من البدع والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين**) .

الــشـرح :

ثم ختم المصنف كتابه بالدعاء (بثلاث دعوات) :

الأولى : طلب العصمة من البدع والفتن له ولسائر المسلمين .

الثاني : دعا بطلب الحياة على الإسلام والسنة.

الثالث : دعا بأن يكون من أتباع محمد في الدنيا والآخرة.

ثم ختمه بالصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى شرح المقصود والحمد لله رب العالمين .

---

[149] أخرجه البخاري 6/2485 (ح 6385) ، ومسلم 1/79 (ح 61) .

الفهرس العام

الرقم الموضوع الصفحة

1 ـ مقدمة الشارح 2
2 ـ نبذة عن مؤلف لمعة الاعتقاد 3
3 ـ مقدمة المؤلف (ابن قدامة) ومسائلها 4
4 ـ مسالة قول المصنف (وما أشكل من (الصفات) والدفاع عنه......7
5 ـ فصل في كلام بعض أئمة السلف في الصفات 10
6 ـ مسالة : التحذير من الابتداع في الأسماء والصفات 11
7 ـ باب مجمل في ذكر الصفات التي ذكرها المؤلف 13
8 ـ ذكر صفة الوجه لله تعالى ومسائلها 14
9 ـ ذكر صفة اليدين لله تعالى ومسائلها.................................. 20
10 ذكر صفة النفس لله تعالى ومسائلها 24
11 ـ ذكر صفة المجيء والإتيان لله تعالى ومسائلها 26
12 ـ ذكر صفة الرضى لله تعالى ومسائلها 27
13 ـ ذكر صفة المحبة لله تعالى ومسائلها.............................. 28
14 ـ ذكر صفة النزول لله تعالى ومسائلها 29
15 ـ ذكر صفة العجب لله تعالى ومسائلها 30
16 ـ ذكر صفة الضحك لله تعالى ومسائلها 31
17 ـ ذكر صفة الاستواء لله تعالى ومسائلها 32
18 ـ ذكر صفة العلو لله تعالى ومسائلها 33
19 ـ ذكر صفة الكلام لله تعالى ومسائلها 35
20ـ المسائل المتعلقة بالقرآن 37
22 ـ مسالة رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة...................... 40
23 ـ فصل في القضاء والقدر والمسائل المتعلقة بذلك 42
24 ـ فصل المتعلق بالإيمان 46
25 ـ فصل : الإيمان المتعلق بالمغيبات 50
26 ـ فصل في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم 55
27 ـ فضائل الأمة الإسلامية 57
28 ـ فضائل بعض أفراد الأمة 57
29 ـ فصل في الشهادة بجنة أو نار 61
30 ـ المسائل المتعلقة بالإمامة 63
31 ـ مسائل الصحابة وتوليهم 68

32 ـ المسائل المتعلقة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم 69
33 ـ ما يتعلق بمعاوية رضى الله عنه 70
34ـ المسائل المتعلقة بالإمامة.....................................71
35 ـ المسائل المتعلقة بالبدعة وأهل البدع 72
36 ـ مسائل الانتساب والتسمى 76
37 ـ الخاتمة 78
38 ـ الفهرس العام 78